موسوعة دراسات الآباء

الشهادة لألوهية المسيح

للقديس أثناسيوس الرسولي

مقدمة تاريخية ولاهوتية

كان الشغل الشاغل للقديس أثناسيوس وبل عمـل حياته كله الذى من أجله كرس كل وقته وكل قواه وكل جهوده هو « الشهـادة لالوهية المسيـح » التى أعتبرها بحق حجر الزاوية فى بناء الايمان المسيحى كله ، والتى بدونها لم يكن يتصـور حـدوث أى فداء أو خلاص للانسـان · ومن أجل هذا الحق « ألوهيـة المسيح » ، صرف أثناسيوس كل وقته وبذل كل طاقاته ، ولاجل هذا الحق احتمل العزل من كرسيه البطريركى واحتمل النفى خمس مرات بلغت مدتها معـا عشرون عاما ، بل ولاجل هذا الحق كان مستعدا فى أى لحظة أن يسفك دمـه بكل سرور ·

وتعتبر « المقـالات الاربعـة ضد الاريوسيين » · هى الـكتاب الرئيسى من بين « كتـابات القديس اثناسيوس اللاهوتية » ، التى يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد البدعة الآريوسية ·

تاريخ المقالات الاربعـة :

طلب القديس سرابيون (أسقف تيميس بشمال الدلتـا صديق القديس أثناسيوس والمعاصر له) فى رسالة بعث بها الى القـديس أثناسيوس ، طلب منه ثلاثة أشياء هى :

١ ـ تاريخ للأحـداث الجارية (أى تاريخ البدعة الاريوسـية المعاصرة وقتئذ) ·

٢ ـ شرح ومناقشة للبدعة الاريوسية ورد على أفكارها ٠

٣ ـ وتاريخ دقيق حول موت أريوس ٠

وفى رده على سرابيون يكتب أثناسيوس تاريخ موت أريوس ، ثم يرسل له بخصوص الطلبين الاول والثانى ما كان قد كتبه « الى الرهبان ضد البدعة الاريوسية » (رسالة ٥٤ : ٢) ، حينما كان منفيا ومختبئا فى وسطهم (فى الفترة ما بين ٣٥٨ ـ ٣٦٢ م) ، وعلى هذا الاساس يعتبر علماء الباترولوجى ان القديس اثناسيوس يقصد بهذا كتابيه الى الرهبان وهما « تاريخ الاريوسيين »، « المقالات الاربعة ضد الاريوسيين » ، وبذلك يعتبرون أن التاريخ الذى كتب فيه القديس أثناسيوس المقالات هو فترة نفيه الثالث ، أى ما بين ٣٥٨ ـ ٣٦٢ م ٠ ويتضح من كلام القديس أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدمها معا مرة واحده ٠ انما قدمها على فترات فى تلك السنوات (مقاله ٢ فصل ١) ٠

محتويات المقالات الاربعة :

يقدم القديس أثناسيوس فى المقالة الاولى (وهى التى بين يدى القارىء الآن) ، ملخصا لتعاليم البدعة الاريوسية كما جاءت فى كتاب « ثاليا » تأليف أريوس ، ثم يقدم دفاعا عن تعليم مجمع نيقية المسكونى ضد الاريوسية بأن المسيح ابن الله هو أزلى وغير مخلوق وغير متغير ، وعن وحدة الجوهر أو المساواة فى الجوهر الواحد بين الآب والابن ، ويفند اعتراضات الاريوسيين على هذا الايمان النيقاوى الارثوذكسى ٠ وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التى كان الاريوسيون يحولون معناها

للطعن فى ألوهيــة المسيح ، فيقـدم شرحا مفصلا ودقيقا للنصوص الكتابية مبــرهنا بواسطتها على صــحة ايمــان الكنيسة بألوهيــة المسيح : فيشرح :

أولا ـ فيلبى ٢ : ٩ ، ١٠ « لذلك رفعــه الله أيضا وأعطاه اسـما ·

ثانيا ـ مزمور ٤٥ : ٧ ، ٨ « من أجل ذلك مسحك الله الهك »

ثالثا ـ عبرانيين ١ : ٤ « صائراً أعظم من الملائكة ·· » ·

وفى المقالتين الثانية والثالثة يكمل شرح النصوص : (عبرانيين ٣ : ٢) ، (وأعمال ٢ : ٣٦) ، (وأمثال ٨ : ٢٢) ونصوص من انجيل يوحنا حول بنوة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب،والنصوص (متى ٢٨ : ١٨) ، (يوحنا ٣ : ٥٣) ، (مرقس ١٣ : ٣٢)، (لوقا ٢ : ٥٢) ، (متى ٢٦ : ٣٩ ، يوحنا ١٢ : ٢٧) حــول تجسد المسيح ·

وفى المقالة الرابعة يكمل القديس أثناسيوس دفاعه عن أزلية « الابن الكلمة » وعدم مخلوقيته ، ضد بدعة أريوس وضد كل بدعة أخرى مثل بدعة سابليوس وغيرها من البــدع ·

لقد صارت هذه « المقالات الاربعة ضد الاريوسيين » هى المصدر الذى ظل المدافعون عن لاهوت المسيح ينهلون منه على مدى القرون المــاضــية وحتى الآن · وقد استطاع اثناسيوس بقـدرته المتــزنة الثابتة على الامساك بالحقائق الاولية خاصة فيما يتعلق بوحــدة جوهر الله ، وببنوة المسيح الحقيقية الطبيعية للآب ، وقدرته على

النفـاذ الى اعتراضـات الاريوسيين وتحليلها ودحضها ، وبتتبعه للمنطق الاريوسى الى نهاية نتائجه استطاع أثناسيوس أن يبين أن الاريوسية فلسفة متناقضة مضادة للعقل ومضادة للتقوى معـا · وأهم ما يلفت النظر فى هذه « المقالات الاربعة »هوامساك القـديس اثناسيوس الثابت والشـديد « بالجانب الخلاصى » فى دفاعه عن ألوهية المسيـح ، فهو يؤكد على الاهمية القصوى لالوهيته لجـل حقيقة الفداء ولاجل نوال النعمـة ، ولاجل معرفة الله التى توهب للانسان الخاطىء ، بواسطة المسيح (أنظر مقالة ١ : ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ومقالة ٢ : ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠) ·

ان تعليم القديس اثناسيوس اللاهوتى انما يرتكز على أساس فكرة الفداء : أى أن شركتنا مع الله ، ونوالنا التبنى كأبناء للـه ما كان ممـكنا أن يتحقق لو لم يعطنا المسيـح مما هـو خـاص به (مقالة ١ : ١٦) ·

مصار المقالات الاربعة والترجمة :

أصل النص اليـونانى ظهر فى المجلد ٢٦ من مجمـوعة الاباء باليونانية لمينى (MG 26 : 12 - 526) .

ونفس النص اليونانى الذى تمت عنه هذه الترجمة الى العربية هو النص المنشور فى « سلسلة آباء الكنيسة » E.Π.E.

« كتابات أثناسيوس الاسكندرى الكبير مجلد ٢ »

« دار ندشر الآباء » تسالونيكى ١٩٧٤ .

وهو يحوى النص اليونانى القديم فى الصفحة اليسرى ويقابله فى الصفحة اليمنى ترجمة الى اليونانية الحديثة ·

كما تمت مقارنة الترجمة ، بالترجمة التى أنجزها سنة ١٨٤٤ العالم الكاردينال نيومان Newman بالانجليزية والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية »

وفى مقدمة « المقالات الاربعة » الذى نشرته « دار نشر الآباء بتسالونيكى » توجد مقدمة هامة عن « أريوس والآريوسية » لعالم الآباء المعروف الاستاذ ب· خريستو P. christou أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى كانت قد نشرت أصلا فى مجلة « ثيولوجيا Θ.H.E. » اللاهوتية التى تصدرها الكنيسة اليونانية · وقام « الاستاذ صموئيل كامل » بتعريبها عن اليونانية ، ووضعناها كملحق فى نهاية هذا الكتاب ·

ويسر « مركز دراسات الآباء » أن يقوم بنشر « المقالة الاولى ضد الآريوسيين » للقديس أثناسيوس الرسولى ، وبمشيئة الله سيقوم المركز بنشر المقالات الثلاث الباقية بالتتابع ·

وللمسيح الهنا الحى المتجسد لاجل خلاصنا كل مجد وسجود وتسبيح مع الآب والروح القدس الاله الواحد الآن والى كل الدهور ·· آمين ·

بيت التكريس لخدمة الكرازة
فى ١٣ ديسمبر ـ (٤ كيهك) ١٩٨٤
عيد استشهاد القديس اندراوس الرسول

دكتور
نصحى عبد الشهيد

الفهـــرس

صفحة

مقـدمة تاريخية ولاهوتية 5

الفهــــرس ١٠

الفصل الاول : مقدمة عن الهرطقة الأريوســية ١١

الفصل الثانى : مقتطفات من « ثاليا » آريوس ١٧

الفصل الثالث : خطـورة الموضـوع ٢١

الفصل الرابع : الابن أزلى وغير مخلـوق ٢٧

الفصل الخامس : البنوة الالهية غير البنوة البشرية ٣٣

الفصل السادس : الابن الوحيد والثالوث ٣٨

الفصل السابع : اعتراضات الاريوسيين والرد عليها ٤٧

الفصل الثامن : الاعتراضات والرد عليها (بقية) ٥٦

الفصل التاسع : عبارة « غير المخلوق » ٦٢

الفصل العاشر : عــدم تغير الابن ٧٠

الفصل الحادى عشر : شرح نصوص :

أولا : فيلبى ٢ : ٩ ، ١٠ « لذلك رفعه الله أيضا » ٧٤

الفصل الثــانى عشر : شرح نصوص :

ثانيا : مزمور ٤٥ : ٧ ، ٨ «من أجل ذلك مسحك الله الهك» ٨٨

الفصل الثـالث عشر : شرح نصوص :

ثالثا : عبرانيين ١ : ٤ « صائرا أعظم من الملائكة » ٩٨

الفصل الأول :

مقـــــدمه

سبب الكتابة :

١ ـ بقدر ما نأت وابتعدت الهرطقات عن الحقيقة ، بقدر ذلك ابتدعت واستنبطت لنفسها جنونا وخبلا بات جليا واضحا ، وصار كفر وتجديف هؤلاء الناس ظاهرا بينا للجميع منذ القدم · لأن خروج الذين ابتدعوا أمورالخداع هذه ، عنا ـ من الممكن أن نثبتهونوضحه كما كتب المغبوط يوحنا (١ يو ٢ : ١٩) · فان فكر مثل هؤلاء القوم لم يكن له وجود قط قبل ذلك ، كما انه لا يتفق مع ما نعتقده نحنالآن ونؤمن به · ولذلك أيضـا فكما يقول المخلص ، فان الذين لايجمعون معنا هم يفرقون مع الشيطان (لو ١١ : ٢٣) ، متعقبين النائمين، حتى اذا نفثـوا فيهم سمهم المهلك يضمنون أنهم سيشركونهم معهم فى الموت ·

وحيث أن واحدة من الهرطقات ، وهى الهرطقة الأخيرة ـ التى ظهرت الآن كتمهيد لضد المسيح (المسيح الدجال) ـ وهى التى ـ تسمى الأريوسية ، واذ هى باطلة وخبيثة وماكرة ، فقد لاحظت أن أخواتها من الهرطقات الأخرى الأقدم منها ، قد فضحت جهارا ، ولذلك فانها ـ مثل أبيها الشيطان ـ تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس ، لتحاول الدخول مرة أخرى الى فـردوس الكنيسة لكى تظهر كأنها مسيحية بغير وجه حق ، وأن تخدع البعض لكى يفكروا ضد المسيح، معتمدة على آباطيلها الزائفة ، اذ ليس فيها شىء من الصـواب · وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هـؤلاء الذين لم يهلـكوا فقط بالسماع بل أيضا ـ مثل حواء ـ أخـذوا وتذوقوا ، حتى انهم ـ بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المر حلوا (أش ٥ : ٢) وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة · ولهذا أعتقدت

ـ بعـد أن طلبتم منى ـ أنه صار ضروريا أن أفتت قوة درع هـذه الهرطقة الدنسة ، وأن اكشف عن نتانة حماقتها ، وعفن وقاحتها ، لكى يتجنبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة ، وأيضا لـكى يندم الذين خدعوا بها ، فيتوبوا ، ولكى يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نورا ، والكذب ليس حقيقة ، هكذا فليست الاريوسية بدعة حسنـة ، لكن بعض هـؤلاء أيضا الذين يسمـون مسيحيين ، كثيرا ما يخـدعون لأنهـم لا يقرأون الكتب المقدسة ، ولا يعرفون المسيحية قط ، ولا يدركون الايمان بها ٠

الأريوسية مختلفة تماما عن الايمان الحقيقى :

٢ ـ أى شبه رآه هؤلاء اذن ، بين هـذه البدعة وبين الايمان الحقيقى ، حتى انهم يقولون بأنه لا يوجد شىء ردىء فيما يعلمـه أولئك (المبتدعون) ؟ ومعنى هذا فى الحقيقة ، انهم يعتبرون قيافا مسيحيا ، وأيضا لا يزالون يحسبون يهـوذا الخائن بين الرسل ، ويقولون عن أولئك الذين طالبـوا بأطـلاق سراح باراباس بدلا من المخلص ، انهم ما أقتـرفوا أى اثـم ، وهم يمـدحون هيمينـايس والاسكندر (١) على اعتقادهما القويم ، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما ٠

الا أن هذه الأشياء لا يستطيع أن يحتمل المسيحى سماعها ، كما أن ذلك الذى يجرؤ أن يتحدث بمثل هذه الأقوال ، لا يمكن اعتباره سليم العقل والادراك ٠

فبالنسبة للآريوسيين يعتبر أريوس لديهم بدلا من المسيح ، مثل

---

(١) قارن ١ تيمو ١ : ٢٠ و ٢ تيمو ٢ : ١٧ ، هيمينايس والاسـكندر هما اثنان من المعلمين المبتدعين فى المسيحية الأولى ، اللذين حرمهما بولس الرسول من الخدمة فى الكنيسة لأنهما آمنا وعلما بأن القيامة قد صارت ٠

مانى عند المـانويين ، وفى مقابل موسى والقديسين الآخرين عندهم سوتيادس (٢) الذى كان يهزأ بالأمميين (الوثنيين) ، وكذلك ابنة هيروديا (٣) · لأن أريوس وهو يكتب الثاليا (٤) ، كان يقلد الأسلوب النسائى المنسوب الى سوتيادس ، وكما أبهرت ابنة هيروديا هيرودس برقصها ، كذلك أريوس سخر الرقص واللهو فى التشهير والافتراء على المخلص ·· وهو قد فعل هذا ، من ناحيةلكى يموهويضللعقول هؤلاء الذين انغمسوا فى الهرطقة لدرجة الجنون ، ومن ناحية أخرى لكى يبدل اسم رب المجد الى شبه صورة انسان زائل (رو ١ : ٢٣)· وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الاريوسيين بدلا من المسيحيين ويكون هذا دليلا قاطعا على كفرهم ·

الأريوسيون ليسوا مسيحيين :

فلا تدعهم اذن يجدون لانفسهم عذرا ، ولاتدعهم يتهكمون مفترين على هؤلاء الذين هم ليسوا فى الحقيقة مثلهم ، فيسمون المسيحيين بأسماء معلميهم،كى يظهروا هم أيضا بهذه الطريقة انهم مسيحيون(٥) ·

---

(٢) سوتيادس شاعر يونانى قديم من مارونيا ، ذاع صيته أيام حـكم بطليموس فيلاديفوس · وكان موضوع اشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح ، ولذلك سمى بالشاعر الداعر ·

(٣) ابنة هيروديا ، كانت قد ابهجت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة انها أخبرته أن يقـدم لها رأس يوحنا السابق على طبـق أنظر متى ١٤ : ١ ـ ١٢ ، مر ٦ : ١٧ ـ ٢٩

(٤) الثاليا هى أشعار وقصائد ألفها أريوس بهدف نشر هرطقته بما فيها من تعاليم خاصة ·

(٥) يبـدو أن القديس أثناسيوس يشـير الى أن البعض كان يطلق على المؤمنين المستقيمى الرأى اسم أثناسيوس ، لكى يجدوا بهذا مبررا لأنفسهم وهم يسمون أتباعهم ، وأن يعتبروا أنفسهم مسيحيين ·

ومرة أخرى لا تدعهم يمزحون ، وهم يستحون من اسمهم الذى جلب عليهم مثـل هذا العار والخـزى ، فلو كانوا حقا يخجلون فليغطوا عزيهم ، أو فليتنحوا عن ضلالهم · لانه لم يحدث قط فى أى وقت ، أن اتخذ الشعب المسيحى أسـماء أساقفتهم ليكونوا تابعين لهم ، بل اتخـذوا اسم الرب وحـده الذى به نؤمن ولذلك فنحن أيضا الذين اتخذنا تعاليمنا من الرسل المغبوطين الذين خدموا انجيل المخلص ، فاننا لم ننتسب الى اسمهم ولم ندع به ، بل نسمى فقط باسم المسيح، ولذلك فنحن مسيحيون وهذا هو لقبنا ·

أما أولئك الذين ينتمون الى آخرين يأخذون منهم العقيدة التى يعترفون بها ، فانهم من الطبيعى بالنسبـة لهم أن يحملوا أسماءهم أيضا ، لانهم قد صاروا ملكا لهؤلاء المعلمين ·

٣ ـ وحيث أننا جميعـا من المسيح يقينا ، لذلك فاننـا ندعى مسيحيين ، وقديما عنـدما طرد ماركيون وألقى بعيـدا لأنه ابتـدع الهرطقة ، فان هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حرم من الكنيسة ظلوا مسيحيين ، فى حين أن الذين تبعوا ماركيون وشايعوه لم يسموا بعـد مسيحيين بل لقبـوا ماركيونيين · وهـكذا أيضا فالنتينـوس وباسيليدس ومانى وسيمون الساحر ، فأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة ، ولذلك صار البعض يلقبون فالنتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين · والبعض الآخر الذين هم من فريجيا لقبوا فريجيين ، والذين من نوفاتيس نوفاتيين ·

وهكذا أيضا ميليتيوس عندما طرده وحـرمه بطرس الأسـقف والشهيد ، لم يعـد يطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين · وهكذا فقد حدث نفس الشىء أيضا حينما حرم ألكسندروس المطوب الذكر آريوس ، فان الذين ظلوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع أريوس ، فانهم تخلوا عن اسم المخلص لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس ، ومن ثم اطلق على أولئك اسـم

الأريوسيين · وهاهو الآن بعد موت الكسندروس ، فان الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس ، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم فى الشركة الكنسية لهم نفس الميزة · فان احدا من أولئك لم يطلق عليه اسم اثناسيوس ، كما أن اثناسيوس لم يطلق عليه اسم أى واحد من أولئك المرتبطين ، ولكنهم ـ وفقا للوضع المـألوف ـ يسمـون جـميعا مسيحيين · لأنه وان كان لدينا سلسلة متتابعة من خلفاء المعلمين ··· وقد صرنا نحن تلاميذ هؤلاء ، ولكن حيث أننا نتعلـم منهم أمور المسيح وكل ما يختص به ، لذلك فمما لا شك فيه ، فاننا مسيحيون وهكذا ندعى · أما أولئك الذين يتبعون الهراطقة ، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء ، فانهم حتما يتخذون لهم اسم من ابتدع الهرطقة · وهكذا فانه حتى بعد أن مات أريوس ، رغم أن عددا كبيرا خلفه فى هرطقته ، الا ان هؤلا، الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل ، والمعروفين بمشايعتهم لأريوس ، فانهم يسمون أريوسيون ·

والبرهان العجيب على هذا ، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة ـ ولا يزالون يدخلون فيهـا حتى الآن ، فاذ يهجرون ضلالة الأوثان ، فانهم لا يدعون بأسماء الذين علموهم أصول الايمان، بل يدعون باسم المخلص ، وصاروا يدعون باسم المخلص ، وصاروا مسيحيين بدلا من وثنيين ، بينما أولئك الذين ينضمون الى الهراطقة، والذين يتحولون من الـكنيسة الى الهرطقة ، فانهم يهجـرون اسم المسيح ، وتبعا لذلك يتخذون اسم الأريوسيين ، اذ لم يعد لهم ايمان بالمسيح قط ، بل صاروا خلفاء لجنون أريوس وخبله ·

٤ ـ كيف يمكن اذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الأريوسية ؟· أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة ، وهم قد انفضوا عن الايمان الرسولى ونبذوه ، وصاروا مبتدعين شرورا جديدة ، وبعد أن نبـذوا أقوال الكتابات الالهية ،فانهم يسمون ثاليا أريوس حكمة جديدة ؟ وما يقولونه يثبت

حقا أنهم يبشرون بهرطقة جديدة · ولهذا السبب أيضا فان الانسان ليدهش ، انه فى حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثر عددا حول العهدين القديم والجديد ، فليس فى أى منها شىء مما ابتدعته ثاليا ، بل حتى لا يوجد شىء منها عند كبار الأمميين وعظمائهم ··· ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنون وهم ثمالى وسكارى بين قرقعة الكؤوس والصخب والسخرية أثناء عبثهم ولهوهم ليثيروا ضحك الآخرين ·

ان أريوس الغريب ، فى الواقع لم يقلد أحدا وقورا ، وان كان يجهل كتابات الرجال الوقورين من عظماء القوم ، فانه كان يختلس كثيرا من الهرطقات الأخرى ، ولا يوجد له منافس فى مجال الهزل والسخرية غير سوتيادس وحده · لأنه ماذا كان فى وسعه أن يعمل سوى أن يرغب فى التحول ضد المخلص ، بأناشيده الراقصة ، معبرا بثرثرته المقوتة وطنطنته البغيضة عن كفره والحاده ، مستخدما فى ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة ؟ وهذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه ، من تلك الأقوال التى تنضح بعدم نضج الروح وفساد الذهن ، وذلكما تقول الحكمة تماما « يعرف المرء من الكلمة الصادرة عنه » (انظر ابن سيراخ ١٩ : ٢٩) ولأن الضلال لم يكن سهوا ، بل هو متعدد الوجوه ، ومتعمد أيضا ، فهو مثل الثعبان الذى يلتف حول نفسه صاعدا هابطا ، ولكنه ـ (أى أريوس) قد سقط فى ضلال الفريسيين عندما أرادوا مخالفة الشريعة ، فانهم تظاهروا بانهم غيورون على أقوال الناموس ، وعندما أرادوا انكار الرب المنتظر ، بينما كان هو نفسه حاضرا بينهم ··· فانهم أدعوا بأنهم يستشهدون بالله ، ولكنهم أثبتوا بذلك انهم يجدفون بقولهم : « لماذا وأنت انسان تجعل نفسك الها » (يو ١٠:٣٣) ، وتقول « أنا والآب معا واحد »· هكذا أيضا أريوس المزيف والذى حذا حذو سوتيادس ، فانه يزعم انه يتحدث عن الله ، مستخدما كلمات الكتاب المقدس ، ولكنه أثبت من كل النواحى انه كافر وذلك بانكاره الابن ، معتبرا اياه من بين المخلوقات·

الفصل الثـانى :

مقتطفات من ثاليا آريوس

٥ ـ ان بدء ثاليا أريوس عبارة عن أقوال ركيكة جوفاء ، وقد اتخذت لها أسلوبا أنثويا وهى هكذا : « حسب ايمان مختارى الله ، الذين لهم ادراك ووعى بالله من الرجـال القديسين الذين يتصفون بالعقائد المستقيمة ، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس · وأنا على الأقل تعلمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة، أناس مدهشون من المعلمين لأمور الله ، وعموما فانهم يعتبرون من الحكماء · وقد أقتفيت أنا آثار هـؤلاء وسرت على دربهم · وها أنا أسير فى نفس الطريق ، معلما لنفس هـذه المبـادىء ، أنا الذائع الصيت ، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله ، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاة من الله » ان مثل هـذه الثرثرة الجوفاء التى يتشدق بها فى ثاليا ، والتى ينبغى تجنبها والابتعاد عنها ، اذ هى مليئة بالكفر والضلال ، اذ قد جاء فيها « لم يكن الله أبا فى كل حين » بل كان هناك وقت حين كان الله وحده ، ولم يكن أبا بعد ، بل قد صار آبا فيما بعد ··· والابن لم يكن موجودا دائما · لأن كل الأشياء قد خلقت من العدم ، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجودا ، ولم يكن له وجود قبل أن يصير ، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة : ويقول : « لأن الله كان وحده ، ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد ·· من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا ، فانه عنـدئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن ، كى يخلقنا بواسطته » ولذلك فهو يقول أن هناك حكمتان : الأولى مستقلة وموجودة مع الله · أما الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى ، وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقط فى هذه الحكمة الأولى ، لأنه يقول « ان « الحكمة » جاء الى الوجود بواسطة الحكمة بمشيئة الله الحكيم » ·

وهكذا يقول أيضا : أنه توجد كلمة أخرى فى الله غير الابن ٠٠ وأيضا أن الابن قد سمى كلمة وأبنـا بسبب مشاركته للـكلمة حسب النعمـــة ٠

وهذا التعليم أيضا انما هو أحد الأفكار الخاصة بهرطقتهم ، كما يتضح من مؤلفاتهم الأخرى ، « انه توجد قوات كثيرة ، احداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية ، أما المسيـح فليس هو قوة الله الحقيقية ، بل انه هو أيضا قوة من تلك التى تدعىقوات، والتى تعتبر احداها أيضا « الجرادة » و « الدودة » ، وهى ليست قوة وحسب بل أعلن عنها أيضا أنهـا قوة عظيمة (٦) ٠ أما القوات الأخرى المتعددة فهى مثل الابن ، وأن داود أنشد عنها بقوله : « رب القوات » (مز ٢٤ : ١٠) ٠ والكلمة نفسه أيضا ، مثل كل القوات، متغيـر بحسـب طبيعتـــه ، ويبقـى صالحـــا بارادتـه الحـــرة ـ الى أى وقت يريده ، ولكنه حينما يريد ، فانه يستطيع أن يتحـول مثلنا ، اذ أنه ذو طبيعة متغيرة ٠ ويقول أيضا « بما أن الله عرف بسبق علمه ، بأن الكلمة سيكون صالحا فقد منحه هذا المجد ، مقدما والذى حصل عليه بعد ذلك ، كانسان ، بسبب الفضيلة ٠ ولهذا فان الله ـ بسبب أعماله التى كان يعرفها بسبق علمه أنها ستعمل ـ ، خلقه بمثل هذه الصورة التى صار عليها الآن »

٦ ـ بل انه تجاسر مرة أخرى أن يقـول « الكلمة ليس الهـا حقيقيا ، وحتى ان كان يدعى الها لكنه ليس الها حقيقيا ، وانما هو اله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين ، وهكذا فانه يسمى الهـا بالاسم فقط ٠ وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه فى الجوهر ، هكذا الكلمة أيضا يعتبر غريبا عن جـوهر الآب وذاتيته ومختلفا عنه ، بل هو ينتمى الى الأشياء المخلوقة والمصنوعة، وهو نفسه أحد هذه المخلوقات » ٠

---

(٦) انظر (يوئيل ٢ : ٢٥) حيث يشير الى الجـراد والطيار بلقب « جيش الله العظيم » ٠

وفضلا عن ذلك ، فانه كما لو كان قد صار خليفة للشيطانووارثا لتهوره ووقاحته ، فقد ذكر فى « ثاليا » ما يلى : « وحتى الابن فانه لا يرى الآب » وأن « الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف آباه تماما وبصورة كاملة ، ولكن ما يعرفه وما يراه ، فانه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية ، مثلما نعرف نحن أيضا بقدر طاقتنا الذاتية » · كما يقول « أن الابن ليس فقط لايعرف تمام المعرفة ، اذ هو يعجز عن هذا الادراك ، بل أن الابن نفسه لايعرف حتى جوهره الخاص به ، وأن كل من الآب والابن والروح القدس ، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة ، وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض ، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر ، اذ يدعى هو نفسه « انهم غير متشابهين تماما فى الجوهر والمجد بلا نهاية » · ويقول « انه فيما يتعلق بتشابه المجد والجوهر ، فان الكلمة يعتبر مختلفا تماما عن كل من الآب والروح القدس » وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن « الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب اطلاقا » · هذه مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت فى كتابات آريوس الهزلية ·

٧ ـ فمن هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال ، ومثل هذا النغم فى ثاليا ، ولا يبغض أريوس وهو يقوم بتمثيليته هذه ؟ وبينما هو يدعو باسم الله ويتحدث عنه ، فمن لا يعتبر هذا الرجل مثل الحية التى قدمت المشورة للمرأة ؟· ومن لا يرى ـ وهو يقرأ ما كتبه ـ تجديفه وتضليله ، مثلما فعلت الحية وهى تحاول اغواء المرأة ؟ فمن لا يفزع من هول هذه التجاديف ·؟ فكما يقول النبى « السماءتنذهل، والأرض تقشعر » (أر ٢ : ١٢) من جراء التعدى على الشريعة· أما الشمس فاذ لم تحتمل تلك الاهانات المثيرة التى وقعت على جسد الرب المشترك لنا جميعا ، والتى احتملها هو نفسه من أجلنا بارادته، فانها استدارت وحجبت أشعتها ، وجعلت ذلك اليوم بلا شمس

وازاء تجديفات أريوس ، كيف لا تتمرر حيـاة البشرية فتصاب بعدم النطق ، فيصمون آذانهم ، ويغلقون عيونهم ، هربا من سماع هـذه التجديفات ، ومن رؤية وجـه كاتبها ؟.

وبالاحـرى كيف لا يصرخ الـرب ذاته ضـد هـؤلاء العـديمى التقوى ، بل والجاحدين أيضا ، بتلك الكلمات التىسبق ونطق بها على لسان هوشع النبى « ويل لهؤلاء لانهم هربوا عنى ، يالشقاوتهم لأنهم اذنبوا الى . أنا افتديتهم لكنهم تكلموا على بالكذب » (هو ٧ ١٣) ، وبعد ذلك بقليل « وهم يفكرون على بالشر » ، « وعادوا الى العدم » (هو ٧ ١٦ السبعينية) ؟ .

لأنهم بعـد أن ابتعدوا عن كلمة الله الذى هـو كائن ، ابتكروا لأنفسهم ما هو غير كائن ، فسقطوا فى العدم . ومن أجل ذلكالسبب أيضا ، فان المجمع المسكونى (٧) ، طرد ، أريوس الذى علم بهـذه الأمور ، من الكنيسة وحرمه ، اذ لم يحتمل المجمع كفره وجحوده . ومنذ ذلك الحين ، فقد أعتبر ضـلال أريوس ، هرطقة تفوق سـائر الهرطقات ، حيث لقب بعدو المسيح ، وممهدا للمسيح الدجال .

ولكن رغم أن هذا الحكم ضد الاريوسية ، يعتبر فى ذاته كاف جدا لأن يجعل الناس يهربون بعيدا عن هذه الهرطقة الكافرة ، الا أنه ، كما سبق أن قلت . يوجد البعض من الذين يدعون مسيحيين، يعتبرون ـ عن جهل أو عن تظاهر بالجهل ـ أن هذه الهرطقة لاتختلف الا قليلا عن الحق ، ولذلك يسمون الذين يعترفون بها ، مسيحيين .

لذلك هيا بنا اذن بكل ما عندنا من جهد ، لنكشف القنـاع عن حيل الاريوسية وخداعها ، بأن نضع أمامهم بعض أسئلة . فبعد أن تدحض آراؤها ، فانهم سينفضون من حولها ويهربون كما لو كانوا يهربون من وجـه أفعى .

---

(٧) يقصد مجمع نيقية المسكونى الاول الذى انعقد سنة ٣٢٥ م

الفصــل الثــالث :

خطــورة الموضــوع

٨ ــ فلو أن استعمالهم لبعض كلمات من الكتاب الالهى ، فى ثاليا ، يحول ــ بحسب ظنهم ــ التجديف والكفر الذى فى ثاليا الى كلمات مديح وثناء ، فانهم حينما يرون يهود هذه الأيام وهم يقرأون الشريعة والأنبياء ، فبلاشك ــ يلزمهم على هذا الأســاس أن ينكروا المسيح مثل أولئك اليهــود · وربما لو استمعوا الى المــانويين وهم يترنمون ببعض مقتطفات من الانجيل ، فانهم سينكرون مثلهم الشريعة والأنبيــاء ·

فان كانوا يتململون ويثرثرون هكذا ، بسبب جهلهــم ·· اذن فليعلموا من الكتب المقدسة ، أن الشيطان ــ وهو مبتكر الهرطقــات ومؤلفها ــ يستعير أقوال الكتب المقدسة كغطاء يتستر من ورائه لكى ينفث سمومه الخاصة به ليخدع البسطاء ، وذلك ليخفى الرائحة العفنة الكريهة الكامنة فى شره الخاص · وهكذا خدع حواء ، وهكذا حاك الهرطقات الأخرى ، وهكذا الآن أيضا فانه حث أريوس لكى يدعى أنه يحتج ضد الهراطقة ويقاومهم ، وبهذه الطريقة فانه يدخل هرطقته هو فى غفلة من الجميــع ·

ومع ذلك فان هذا الداهية الخبيث لم يتمكن من الافلات · فلأنه كفر بالله الكلمة ، فانه أفرغ كل ما لديه فى الحال ، وانكشف أمام الجميع جهله بالهرطقات الأخرى أيضا ، وأنه لم يكن فى عقيــدته أى شىء مستقيم ، ولذلك كان ينافق ويراءى ·

لأنه كيف يمكن أن يتكلم باستقامة عن الآب ، وهو ينكر الابن الذى يكشف الآب ويعلنه ؟· أو كيف يمكن أن يعتقد اعتقادا قويما فيما يخص الروح القدس ، بينما هو يفترى على الكلمة الذى يهب الروح ويعطيه ؟ ومن سيثق به عندما يتحدث عن القيامة ، ما دام هو

شخصيا ينكر المسيح ، الذى صار البكر من الأموات ، من أجلنا (كو ١ : ١٩) ؟ وكيف لن ينخدع فيما يخص حضوره بالجسد ، وهو يجهل كلية الميلاد الحقيقى للابن من الآب ؟ فانه هكذا أيضا حدث مع اليهود حينما انكروا الكلمة وقالوا « ليس لنا ملك الا قيصر» (يو ١٩ : ١٥) ، فانهم فقدوا كل شىء دفعة واحدة وبقوا بدون نور مصباح ، وبدون رائحة الطيب ، وبدون معرفة النبوة ، وبدون الحق ذاته ، وهم حتى الآن ، لا يفهمون شيئا ، كمن يسيرون فى الظلام . لأنه من سمع بمثل هذه التعاليم فى أى عصر من العصور حتى الآن . أو من أين أو ممن سمع هؤلاء هذه الأمور ، أولئك المنافقون والمأجورون لنشر الهرطقة ؟. ومن علم هؤلاء مثل هذه العقيدة حينما كانوا يلقنونهم دروس الدين ؟ ومن قال لهم بعد ان انصرفوا عن عبادة الخليقة ، أن تعالوا من جديد لتعبدوا المخلوق والمصنوع ؟. وان كان هؤلاء أنفسهم يعترفون بأنهم قد سمعوا بمثل هذه التعاليم لأول مرة الآن ، فليكفوا اذن عن أنكارهم بأن هذه الهرطقة انما هى غريبة ، ولم يتسلموها عن الآباء . والذى لم يأت من الآباء بل أبتدع الآن ، فأى شىء آخر يمكن أن يكون ، سوى ما تنبأ به المغبوط بولس « فى الأزمنة الأخيرة ينحرف البعض عن الايمان القويم تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين فى نفاق الكذابين الموسومة ضمائرهم الذاتية » (١ تى ٤ : ١ ، ٢ ، ١٤) وأيضا « مرتدين عن الحق »

الايمان الصحيح عن الابن :

٩ ـ ها نحن اذن نتحدث بحرية عن الايمان الصحيح النابع من الكتب الالهية ، ونضع هذا الايمان كسراج على المنارة فنقول : ابن حقيقى حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره . وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقى الوحيد لله ، وهو ليس مخلوقا ولا مصنوعا ، ولكنه مولود حقيقى من ذات جوهر الآب . ولهذا فهو اله حق اذ انه واحد فى الجوهر ὁμοούσιος مع الآب الحقيقى .

أما بالنسبة للكائنات الأخرى ، التى قال لها : « أنا قلت : أنتم آلهة » (مز ٨١ : ٦) ، فانها حصلت على هذه النعمة من الآب وذلك فقط بمشاركتها للكلمة عن طريق الروح القدس · لأنه هو رسم جوهر الآب هو نور من نور ، وهو قوة وصورة حقيقية لجوهر الآب· لأن هذا ما قاله الرب أيضا : « من قد رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) · فهو كان موجودا دائما ، وهو كائن كل حين ، ولم يكن قط غير موجـــود · وكما أن الآب أزلى ، هـــكذا أيضا فان كلمته وحكمته يجب أن يكون أزليـــا ·

ثم فلنر اذن ما يتشدق به هـــؤلاء مما يقـــدمونه لنا من مزاعم مما جاء فى ثاليا الذميمة ؟·

دعهم أولا يقرأونها مقلدين أسلوب كاتبها ، كى يتعلموا ــ حتى وان كانوا يسخرون من الآخرين ــ الى أى ضلال قد انحدروا·وبعد ذلك فليقولوا ، ولكن ماذا فى وسعهم أن يقولوا منه سوى : « أن الله لم يكن دائما أبا ، ولكنه صار أبا فيما بعد ، والابن لم يكن موجودا دائما ، لأنه لم يكن موجودا قبل أن يولد · وأنه ليس من الآب،ولكنه هو أيضا خلق من العدم ، وهو ليس من نفس جوهر الآب لأنه مخلوق ومصنوع » ؟ وان « المسيح لم يكن الها حقيقيا ، بل هو نفسه صار الها بالمشاركة · والابن لم يعرف الآب معرفة تامة ، والكلمة لم ير أباه بصـــورة كاملة · والكلمة لم يفهم ولم يعرف أباه على وجـــه الدقة ، ولم يكن هو نفسه الكلمة الحقيقى الوحيد للآب ، ولكن بالاسم فقط يدعى كلمة وحكمة ، وهو بالنعمة فقط يدعى أبنا وقوة · وهـــو ليس غير قابل للتغير مثل الآب ، ولكنه متغير بالطبيعة كالمخلوقات، وهو قاصر عن ادراك معرفة الآب ادراكا كاملا » غريب أمر هـــذه الهرطقة حقا ، اذ ليس هناك أى احتمال فى استقامة تعاليمها ، بل هى تتخيل أنه لا وجود لذلك الذى له وجود فى الواقع ، بل تنشر على الملأ مهاترات كفرية تماما بدلا من الأقوال الورعة التقية ·

اذن ، ان قام أحـد النـاس بالتصدى لبحث تعـاليم الفريقين ، وتسائل الى ايمان أى منهما ينحـاز وأى منهما يتكلم الكلام اللائق عن الله ٠

أو بالأحـرى دع هؤلاء الذين يحرضون على الكفر بنفـاق ، يقولون ، بماذا يجب أن يجاب عندما يسأل انسان عن الله ، (لأن « الكلمة كان الله ») ٠ فانه من الاجابة على هذا السؤال سيعرف كل ما يتعلق بكلتا المسألتين ٠ أى ماذا يجب أن يقوله الشخص : هل « كان » أم « لم يكن » ؟ هل هو « دائم » أم « صار من قبـل » هل هو « أزلى » أم « منذ متى ، وحتى متى » ، هو هو « اله حق » أم « بالوضع والمشاركة والاختلاق » هل هناك من يقبل القول بأنه (أى الكلمة) « واحـد من بين المخلوقات » أم انه « متحد مـع الآب » ٠ وأنه « غير مشابه للآب حسب الجوهر » ، أم انه « مشابه للآب وخاص به » وانه « مخلوق » أم أن « به قد خلقت المخلوقات »٠

أنه « **هو ذاته كلمة الآب** » ، أم أن هناك « **كلمة آخر** » بالاضافة اليه ، وانه تكون عن طريق هذا الكلمة الآخر ٠ وعن طريق حكمة أخرى ٠٠ وانه انما لقب حكمة وكلمة بالاسم فقط ، وانه صار شريكا لتلك الحكمة وتاليا لها ٠

١٠ ـ فأقوال من أذن ، هى التى تعتبر لاهوتية وتوضح أن ربنا يسـوع المسيح هو اله وابن الآب ؟ ، هل هى تلك الأقوال التى تقيأتموها أنتم ، أم تلك التى قلناها نحن ولا نزال نقولها من الكتب المقدسـة ؟ ٠

اذن فان كان المخلص ليس اله وليس كلمة وليس ابنـا ، فانه يكون من الجائز لكم (فى هذه الحالة) أن تقولوا ما تريدون كما هو جائز للوثنيين واليهود فى أيامنا ٠

أما ان كان هو كلمـــة الآب والابن الحقيقى ، والـــه من اله ، و « فوق الكل مبارك الى الأبد » (رو ٩ : ٥) ، فكيف لا يكون لائقا أن نزيل ونمحو الأقوال المغايرة وثاليا الأريوسية ، كصـــورة للشرور ، ومليئة بكل أنواع الالحاد والكفر ؟ والتى عندما يسقط فيها أحد ، « فانه لا يعرف أن الأشباح سيهلكون بواسطتها ، وأنهم سيلتقون بها فى عمق الهاوية » (ام ٩ : ١٨ سبعينية) · انهـم يعرفون هذا الأمر ، وهم أنفسهم فى الواقع كمخادعين يخفون هذه الأمور ،لأنهم لا يملكون الشجاعة ان ينطقوا بها علنا ، ولكنهم يقولون أشياء أخرى قريبة منها · لانهم ان تكلموا علنا فسوف يلامون، وان تعرضوا للشبهة (بسبب الانحراف) فان الجميع سيتصدون لهـم ببراهين من الكتب المقدسة · ولذلك ، فبما أنهم ابناء هـذا الجيل . فانهم بدهاء ، قد أوقدوا المصباح الذى أعتبروه خاصا بهم ، بزيت خام ، ولكنهم خوفا من أن ينطفىء بسرعة [لأنه قد قيل « نور الأشرار ينطفىء » (أيوب ١٨ : ٥)] ، فانهم أخفوه تحت مكيال النفـاق والـــرياء ، ويدلون بأقوال مغايرة ، مستعينين بحمـاية الأصدقاء مهددين بقسطنديوس (٨) وذلك حتى لا يرى ، أولئك الذين ينضمون اليهم ، نجاسة الاريوسية ونتانتها ، وذلك بواسطة دهائهم وأقوالهم التى ينطقون بها · كيف اذن لا تكون هذه الهرطقة مستحقة للكراهية مرة أخرى ، بحسب هذا أيضا ، وهى فى الواقع تخفى (بضم التاء) بواســطة مشايعيها أنفسهم ، ـ اذ أنهـا لا تتجاسر أن تظهر علنا وتتكلم بحرية ـ ، بل هى تتربى ويعتنى بها كالحية ؟·

---

(٨) كان الامبراطـور قسطنـديوس يحمى الاريوسيين ولذلك فانه نفى أثناسيوس مرتين فى عامى ٣٤٠ ، ٣٥٦ ·

لأنهم من أين جمعوا لأنفسهم تلك الترهات ؟ أو ممن حصلوا اذن على مثل هذه الأقوال التى يتجاسرون على التشدق بها ؟ · انهم ليس فى وسعهم أن يحددوا الشخص الذى سبق أن تسلموا منه هذه الأقوال · لأنه من من الناس ، سواء كان يونانيا أو بربريا يجسر أن يقول عن ذلك الذى يقر ويعترف به انه اله ، بأنه واحد من المخلوقات ، وأنه لم يكن موجودا قبل أن يخلق ؟· ومن هو ذلك الذى يؤمن بالله ، ولا يصدق الله القائل « هذا هو ابنى الحبيب » (متى ١٧ : ٥) ويزعم بأن الابن ليس ابنا بل مخلوقا ؟ بل أن مثل التعاليم سوف تثير سخط الجميع أكثر ضدهم · فانهم حتى لم يتخذوا براهينهم من الكتب المقدسة ، لأنه سبق أن كشفنا مرارا ، كما سنكشف الآن أيضا بأن هذه التعاليم مخالفة وغريبة عن الأقوال الالهية · اذن ، اذ لم يتبق الا أن نقول بأنهم قد أصابهم الجنون بعد أن تلقوا هذه التعاليم من الشيطان (لأنه هو وحده الذى يزرع مثل هذه التعاليم) ، لذلك هيا بنا لنقاومه ، لأنه سيكون لنا صراع ضده عن طريقهم ، وبمشيئة الرب ، بعد أن يعجز كالمعتاد بواسطة البراهين ، فانهم سيصابون بالخزى عندما يرون ذلك الذى زرع هذه الهرطقة فيهم ، خاليا من أية قوة ، فيتعلمون ، ولو متأخرا ، انه بما أنهم أريوسيون . فهم ليسوا مسيحيين ·

✠ ✠ ✠

الفصل الرابـع :

الابن ازلى وغير مخلوق

١١ ـ قد قلتم واعتقدتم حسب اقتراح (الشيطان) عليكم ، بأنه « كان وقت لم يكن فيه الابن موجودا » ، لأن ثوب أفكار بدعتكم هذا ، هو الذى يجب أن ينزع أولا ·

قولوا أيها المهاترون عديمى التقوى ، ما المقصود بالوقت الذى لم يكن فيه الابن موجودا ؟ فان كنتم تشيرون بهذا الى الآب ، فان تجديفكم يكون أعظم · لأنه من غير اللائق أن يقال عنه « كان فى وقت ما » أو أن يشار اليه بكلمة « وقت » · لأنه كائن دائما وهو موجود الآن · وحيث ان الابن أيضا موجود فهو (الآب) أيضـا موجود ، وهو نفسه الكائن ، وأبو الابن · فان كنتم تقولون أن الابن كان موجودا مرة ، حينما لم يكن موجودا ، فالجواب هو أن هـذا كلام صبيانى أحمق · اذ كيف يكون هو نفسه موجوداً وغير موجود؟ واذ تجدون أنفسكم فى حيرة أمام هذا التضارب فى الأقوال ، فانكم يمكن ان تقولوا ، انه كان هناك « وقتـا ما » حينما لم يكن الكلمة موجودا ، لأنه هـذا هو المعنى الطبيعى لظرف الزمان « وقتـا ما » Ποτέ الذى تستخـدمونه · والقول الذى سجلتموه بعد ذلك هو « الابن لم يكن موجودا قبل أن يولد » ، هو مساو تماما لقولكم « كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجودا » فسواء هذا القول أو القول الآخر ، فكلاهما يعنى انه كان هناك زمن سابق على الكلمة · اذن ، من أين اتيتم بهذه الأقوال ؟ لمـاذا تزمجرون كالأمم وتقولون كلمات فارغة زائفة ضد الرب وضد مسيحه (٩) ؟· لأنه لم يسبق لأى كتاب من الكتب المقدسة أن استخدم تعبيرا مثل هذه التعبيرات عن المخلص، بل بالأحرى تقول عنه « الدائم » ، « الأزلى » ، والمشارك دائما مع

---

(٩) مز ٢ : ١ ·

الآب فى الوجود » لأنه « فى البدء كان الكلمة ، وكان الكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله »(١٠) ويقول عنه فى الرؤيا ما يلى « الكائن والذى كان والآتى »(١١) فمن يستطيع اذن أن ينتزع الأزلية عن ذلك « الكائن » ، « والذى كان » ولأجل هذا الأمر عينه كتب بولس وهو يتكلم عن اليهود فى الرسالة الى أهل رومية قائلا « ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن فوق الكل الها مباركا الى الأبد » · وحين كان يتكلم عن الأمميين قال « لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بواسطة المصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته » (١٢) وما هى قدرة الله ؟ ، هو نفسه يعلم فىمرةأخرى قائلا « المسيح هو قوة الله وحكمة الله »(١٣) انه بالتكيد لم يكن يقصد الآب بهذه الكلمات ، كما كنتم تتهامسون كثيرا فيما بينكم قائلين ان « الآب انما هو قوته الأزلية » ولكن الأمر ليس هكذا · لأنه لم يقل ان الله ذاته هو القوة » بل ان « القوة هى قوته » · فمن الواضح الجلى للجميع أنه استخدم الهاء فى قوته (ضمير الاضافة فى الغائب المفرد) ولم يستخدم « هو » (ضمير الغائب المفرد فى حالة الفاعل) ولكنه ليس غريبا (عن الآب) بل هو (الابن) خاص به ذاته (١٤) · اقرأوا أيضا سياق الكلام « وارجعوا الى الرب » ، « وأما الرب فهو الروح » (١٥) ، وسترون ان هذا النص يشير الى الابن ·

١٢ ـ لأنه (بولس) وهو يتحدث عن الخليقة ، فانه يستمر أيضا فى الكتابة عن قوة الخالق فى خليقته ، تلك القوة التى هى،

---

(١٠) يو ١ : ١ ·
(١١) رؤ ١ : ٤ ·
(١٢) رو ١ : ٢٠ ·
(١٣) ١ كو ١ : ٢٤ ·

(١٤) أى ان القوة منسوبة للآب وخاصة به ، ولكنه لم يقل ان الآب نفسه هو القوة ذاتها ، بل ان الابن هو قوة الآب (المعرب) ·

(١٥) ٢ كو ٣ : ١٧ ·

« كلمة الله » ، والذى من خلاله (بواسطته) قد خلق كل شىء · فلو أن الخليقة فى طاقتها بذاتها وحدها أن تعرف الله بدون الابن، فالتفتوا لئلا تسقطوا فى الغواية ، فتظنوا ، أنه بدون الابن أيضا ، قد خلقت الخليقة · ولكن ان كانت الخليقة قد خلقت عن طريق الابن، وانه « فيه تثبت (تقوم) كل الأشياء فى الوجود » (١٦) ، فان الذى يتأمل الخليقة بطريقة مستقيمة ، فلابد أن يرى أيضا بالضرورة الكلمة الذى خلقها ، ومن خلال الكلمة يبدأ أن يدرك الآب · وان كان حسب قول المخلص « لا أحد يعرف الآب الا الابن ولمن سيعلن له الابن عنه » (١٧) وحينما سأل فيلبس « أرنا الآب » لم يقل له ، انظر الخليقة ، بل قال له « من رآنى فقد رأى الآب » ، فانبولس بصواب وأدراك ، يتهم اليونانيين بأنهم ، بينما يرون تناسق الخليقة ونظامها، فانهم لا يدركون الكلمة خالقها ، (لأن المخلوقات تعلن عن خالقها)، لكى يدركوا الاله الحقيقى من خلال المخلوقات ، ويكفوا عن عبادة المخلوقات ، ــ ولذلك قال بولس « قدرته السرمدية ولاهوته » لكى يشير بذلك الى الابن · وحينما يقول القديسون « الكائن قبل الدهور » ، « والذى به صنع الدهور » فانهم بذلك يبشرون بخلود الابن وأزليته ، وهم حينما يقولون الابن فهم يقصدون الله نفسه ·

ولذلك يقول أشعياء « الله الأبدى ، خالق أطراف الأرض »(١٨) وقالت سوسنه « أيها الاله الأزلى » (١٩) · أما باروخ فكتب « قد صرخت الى الأبدى مدى أيامى » (٢٠) وبعد قليل يقول « لأنى أنا اعتمدت فى رجائى على الأبدى ، لأجل خلاصكم ، وغمرنى فرح من لدن القدوس » (٢١) · لذلك يقول الرسول أيضا وهو يكتب للعبرانيين،

---

(١٦) كو ١ : ١٧ ·
(١٧) مت ١١ : ٢٧ ·
(١٨) اش ٤٠ : ٢٨ ·
(١٩) دانيال (سوسنة ٤٢) ·
(٢٠) باروخ ٤ : ٢٠ ·
(٢١) باروخ ٤ : ٢٢ ·

« الذى (الابن) وهـو بهـــاء مجـــده وصورة جـــوهره » (٢٢) وداود ينشـــد فى المزمـــور التـاسع والثمانين قائلا « فليكن بهاء الـرب الهنـا علينـا » (٢٣) ، وأيضـا « بنورك سـنرى النور (٢٤) فمن يـكن حمقـا لدرجـــة أنه يشـــك فى أن الابن كـائن عـلى الدوام ؟٠ لأنه من رأى نورا قط بدون بريقوميضه ، حتى يقول عن الابن انه « كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً » أو « ان الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد » ؟ وما قيل فى المزمور الرابع والأربعين بعد المـائة ، موجها قوله للابن « مملكتك مملكة كل الدهور » (٢٥) فلا يجوز لأى شخص ، ان يتخيل أى فترة ـ مهما كانت وجيزة ـ لم يكن فيها الكلمة موجودا ٠ لانه ان كانت كل فترة زمنية تقاس من خلال الدهور ، والكلمة هو ملك وصانع كل الدهور ، لذلك فبالضرورة، حيث انه لا توجد قبله أية فترة زمنية من أى نوع ، فان يعتبر ضربا من الجنون أن يقال « كان هناك وقت عندما لم يكن الأزلى موجودا»، وأن «الابن هو من عدم» حيث أن الرب نفسه يقول «أنا هوالحق»(٢٦) ولم يقل « صرت الحق » ٠ بل هو يكرر دائما « أنا هو » ـفيقولـ « أنا هو الـراعى » (٢٧) ـ و « أنا هو النـور » (٢٨) ومرة أخـرى يقول « ألستم أنتم تقولون انى أنا الرب والمعلم وحسنا تقولون ، لأنى أنا هو » (٢٩) ٠ ومن عنـدما يسمع مثل هـذا القول ، من الله . والحكمة وكلمة الآب ، متحـدثا عن ذاته ، يظل حائرا بخصوص الحقيقة ، ولا يؤمن فى الحال ، بأن عبارة « أنا هو » تعنى أن الابن أبدى ، وأزلى قبل كل الدهور ٠

---

(٢٢) عب ١ : ٣ ٠ (٢٣) مز ٨٩ : ١٧ ٠

(٢٤) مز ٣٥ : ١٠ (فى ترجمة جمعية الكتاب المقدس مز ٣٦ : ٩) ٠

(٢٥) مز ١٤٤ : ١٣ (أى مز ١٤٥ : ١٣) ٠

(٢٦) يوحنـا ١٤ : ٦ ٠ (٢٧) يو ١٠ : ١٤ ٠

(٢٨) يو ٨ : ١٢ ٠ (٢٩) يو ١٣ : ١٣ ٠

١٣ ـ مما سبق ذكره يتضح أن ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن يبــرهن أنه أزلى · أما ما يتفــوه به الأريوسيون متشدقين بالألفاظ : « لم يكن » ، « من قبل » ، « متى ؟ » فان الكتب المقدسة تشير بهذه الالفاظ الى المخلوقات ، وهذا سيتضح مرة أخرى مما سنذكره فيما يلى : فمثلا ، عندما تحدث موسى عن الأمور المختصة بتكوين الخليقة ، قال « كل خضرة الحقل لم تكن بعد فى الأرض وكل عشب الحقل لم يكن قد نبت بعد لأن الله لم يكن قد أمطر على الارض، ولا كان انسان ليعمل فى الأرض (٣٠) وجاء فى التثنية « حين قسم العلى ، الشعوب » (٣١) · وكان الــرب يقول عن نفسه « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت انى ماض الى الآب ، لأن أبى أعظم منى ، وقد قلت لكم الآن قبل أن يكون،حتى متى كان تؤمنون » (٣٢)

أما عن الخليقة فيقول على فم سليمان « قبل خلق الأرض · قبل صنع الأعماق ، وقبل تدفق ينابيع الميــاه ، وقبل أن ترســخ الجبال ، وقبل جميع التلال ، ولدنى » (٣٣) وأيضا « قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » (٣٤) ويقول عن أرميا « قبل أن أصورك فى الرحم، عرفتك » (٣٥) وداود يرنم قائلا « يارب صرت لنا ملاذا من جيل الى جيل · قبل تكوين الجبال ، أو قبل خلق الأرض والمسكونة منذ الأزل والى الأبد أنت هو » (٣٦) · وفى سفر دانيال « وصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت ، : أيها الاله الأزلى العارف بالخبايا ، والعالم بكل الاشياء قبل حدوثها » (٣٧) ·

---

(٣٠) تكوين ٢ : ٥ (الترجمة السبعينية) ·

(٣١) تث ٣٢ : ٨ ·

(٣٢) يو ١٤ : ٢٨ . ٢٩ ·

(٣٣) ام ٨ : ٢٣ ـ ٢٥ (السبعينية) ·

(٣٤) يو ٨ : ٥٨ ·

(٣٥) أرميا ١ : ٥ ·

(٣٦) مز ٨٩ (٩٠) : ١ ـ ٢

(٣٧) دانيال (سوسنة ٤٢) ·

وهكذا اذن يظهر أن الألفاظ « لم يكن فى وقت ما » ، و « قبل أن يصير » ، و « عندما » ومثل هذه التعبيرات انما تنطبق على الكلام بخصوص المنشآت والمخلوقات التى جبلت من العدم ، ولكنها غريبة تماما بالنسبة للكلمة · فان كانت الكتب المقدسة تستخدم هذه التعبيرات عن المخلوقات . بينما تقول عن الابن أنه « الدائم » اذن فيامحاربى الله ، فان الابن لم يصر من العدم . ولا يحسب فى عداد المخلوقات اطلاقا . بل هو صورة الآب وهو الكلمة ، ولم يكن قط غير موجود ، بل هو موجود على الدوام ، وهو الشعاع الأزلى لنور هو أزلى · لماذا اذن تتخيلون أن هناك أزمنة سابقة على الابن ؟· أو لماذا تجدفون على الكلمة بأنه لاحق وتالى للدهور وهو الذى به قد صارت الدهور ·؟

لأنه كيف يوجد زمن أو دهر اطلاقا . بينما لم يكن الكلمة قد ظهر بعد حسبما تقولون أنتم ، وهو الذى به قد « كان كل شىء ، وبغيره لم يكن شىء واحد » (٣٨) · ، أو ان كنتم تقصدون زمنا ما ، فلماذا لا تقولون جهارا انه « كان هناك زمن لم يكن فيه الكلمة موجودا ؟ » ولكن بينما أنتم تسكتون عن اسم « الزمن » لكى تخدعوا البسطاء . ولكنكم من ناحية أخرى لا تخفون شعوركم الخاص على وجه الاطلاق ، ولكن ــ حتى لو اخفيتموه . فانكم لا تستطيعون أن تفلتوا من انكشاف أمركم · لانكم لا تزالون تقصدون الأزمنة عندما تقولون « كان مرة حينما لم يكن موجودا » ، « لم يكن موجودا قبل أن يولد » ·

---

(٣٨) يو ١ : ٣ ·

الفصل الخـامس :

البنوة الالهية غير البنوة البشرية

١٤ ـ وهكذا بعد أن برهنـا هذه الأمـور واثبتناها ، فانهـم لا يزالون يجدفون أكثر قائلين : « ان لم يكن هناك وقت ما ، لم يكن فيه الابن موجـودا ، بل هو أزلى فى وجـوده مع الآب ، اذن فلا يعود يسمى بعد ابنا بل أخا للآب » ٠ يا لكم من حمقى ، مغرمين بالتشاحن والمخاصمة ! لانه ان كنا نقول انه هو وحده كائن أزليا مع الآب ، دون أن نقول ـ فى نفس الوقت ـ انه ابن ، لكان هنـاك بعض العذر لتوقيرهم ولتدقيقهم المصطنع هذا ، ولكن ان كنا فى نفس الوقت الذى نقول فيه أنه أزلى ، فاننا نعترف أيضا انه ابن من آب، فكيف يكون ممكنا أن يعتبر المولود أخا للذى ولده ؟ فان كان ايماننا هو بالآب والابن ، فأى رابطة أخوية توجد بينهما ؟ اذ كيف يمكن أن يدعى الكلمة أخا لذاك الذى (أى الآب) هو أيضا كلمة له ٠؟ وان هذا الاعتراض ليس من قوم يجهلون حقيقة الأمور ، لانهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة ، ولكن هذه الحجة انما هى حجة يهودية ، آتية من قوم « بمشيئتهم يعتزلون الحقيقة » كما يقول سليمان (٣٩)، فالآب والابن لم يولدا من أصل سابق عليهما فى الوجود ، حتى يمكن اعتبارهما أخوين ، ولكن الآب هو أصل الابن وهو والده ٠

والآب هو آب ، وهو لم يكن ابنا لأحد ، والابن هو ابن وليس بأخ ٠

فان كان هو يدعى ابنا أزليا للآب ، فحسنا يقال ٠ لأن جوهـر الآب لم يكن ناقصا أبدا ، حتى يضاف اليه (ابنه) الخاص به فيما

---

(٣٩) أمثال ١٨ : ١ ٠

بعد · وأيضا فان الابن لم يولد (من الآب) كما يولد انسان من انسان ، حتى يعتبر انه قد جاء الى الوجود بعد وجود الآب ، بل هو مولود الله ، ولكونه ابن الله الذى هو من ذاته (من ذات الله) الموجـود من الأزل ، لذلك فانه هو نفسـه (أى الابن) موجود من الأزل · فبينما خاصية طبيعة البشر أنهم يلدون فى زمن معين ، بسبب أن طبيعتهم غير كاملة ، أما مولـود الله فهو أزلى ، بسبب الكمال الدائم لطبيعته · فاذا لم يكن ابنـا ، بل مخلوقا وجـد من العدم ، فعليهم أن يثبتوا ذلك أولا ، وبعد ذلك اذ يتصورونه مخلوقا ، يمكنهم أن يصيحـوا قائلين « كان هناك وقت عنـدما لم يكن الابن موجودا ، لأن المخلوقات لم تكن موجودة قبل أن تخلق » أما ان يكن هو ابنا ـ كما يقول الآب وكما تنادى به الكتب المقدسة ـ فان «الابن» ليس شيئا آخر سوى انه المولود من الآب ، والمولود من الآب هـو كلمته وحكمته وبهاؤه ما يجب أن نقوله ، هو أن الذين يعتقدون انه « كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجودا » انهم يسلبون الله كلمته ، ويعلمون بمذاهب معادية كلية لله معتبرين أن الله كان فى وقت ما بدون الكلمة الذاتى وبدون الحكمة ، وكان النور فى وقت ما بدون بهاء ، وكان النبع جافا مجدبا ·

حقا انهم يتظاهرون انهم يخشـون ذكر اسم الـزمن ، بسبب أولئك الذين يعيرونهم ، ويقولون ، بأن (الابن) كان قبل الأزمنـة الا انهم يحددون أوقاتا معينة ، فيها يتخيلون عدم وجوده ، مبتدعين أزمنة وبالسوء ما ابتـدعوا ـ فانهم بذلك ينسبـون لله نقص الكلمة (أى عدم العقل) وبذلك فانهم يكفرون كفراً شنيعا ·

١٥ ـ وحتى ان اعترفوا معنا ، باسم « الابن » وذلك لانهـم لا يريدون أن يدانوا علنا من الجميع ، الا أنهم ينكرون أن الابن هو المولود الذاتى لجوهر الآب ، ويبنون انكارهم على اساس أن الابن ـ بحسب كلامهم ـ يوجد ، بلا شك ، من جوهر يتجزأ وينقسـم الى

أقسام · وهذا الكلام لا يقل بالمرة عن انكارهم انه ابن حقيقى ، وانما هم يلقبونه بلقب ابن ، بالاسم فقط · أفلا يرتكبون خطأ جسيما حينما يتصورون أفكارا جسدية ، وينسبونها لغير الجسدى (اللاجسدى)، وحينما بسبب ضعف طبيعتهم الخاصة ، فانهم ينكرون طبيعة الآب وذاتيته ؟ لقد حان الوقت لهؤلاء الذين لايفهمون كيفية وجود الله، ولا ما هى هيئة الآب ، أن ينكروه أيضا ، لأن هؤلاء الناس الأغبياء يقيسون مولود الآب بمقاييسهم البشرية الذاتية · وان اناسا يفكرون بمثل هذه الطريقة انه لا يمكن أن يكون هناك ابن لله ، فانهذا أمر يستحق العطف والرثاء ، ولكن يلزم أن نستمر فى سؤالهم وفضح أفكارهم ·

اذن فان كان الابن ـ كما تقولون ـ تكون من العدم ، ولم يكن موجودا قبل أن يولد ، فانه ـ على ذلك ـ يدعىابنا والهـا وحكمة بحسب المشاركة فقط مثله مثل كل الأشياء الأخرى ، فان كل هـذه الأشيـاء الأخـرى (أى المخلوقات) قد تكونت وتقـدست وتمجدت بالمشاركة أيضا · اذن فهناك حاجة ملحة أن تقولوا لنا ، من هـو الذى يشاركه (الابن) · ما دامت كل الأشياء الأخرى لها شركة فى الروح (القدس) ، أما هو ـ فبحسب قولكم ـ لمن يستطيع أن يكون (الابن) مشاركا ؟ هل للروح ؟ بل كما قال هو ذاته حقا بالأحرى ان الروح نفسه يأخذ من الابن (٤٠) ومن غير المعقول القول بأن هذا (الابن) يقدس من ذاك (الروح) · ولا يتبقى بعد ذلك بالضرورة الا أن نقـول أن الآب هو الذى يشاركه الابن · اذن من هـو الذى يشاركه (الابن) ، ومن أين هو ؟ فلو أن هذا (المشارك فيه) كان شيئا من الخارج ، مدبرا من الآب ، فلن يكون فى الامكان ان يشارك الابن الآب ، بل يشارك ذاك الذى هو من خارج الآب ، ولن يـكون الابن بعد ذلك ، ثانيا بعد الآب ، اذ ان ذاك الذى من خارج سـيكون

---

(٤٠) يوحنا ١٦ : ١٤ ·

سابقا على (الابن) ذاته ، ولن يكون ممكنا أن يدعى ابن الآب ، بل ابنا لذلك الذى باشتراكه فيه دعى ابنا والها ٠

وان كان هذا أمر غير لائق وكفرى ، اذ أن الآب يقول (هذا هو ابنى الحبيب » (٤١) وأيضا يقـول الابن ان الله أبوه (٤٢) ، فيكون واضحا اذن ، أن ما يشترك فيه ليس من الخارج ، وانما هو من جوهر الآب ، ومرة أخـرى ، ان كانت هذه المشـاركة ، شيئا آخر ، غير جوهر الابن ، سيحدث نفس الخطأ ، اذ فى هذه الحالة ـ سيكون هناك شىء فى الوسط بين ما هو من الآب وبين جوهر الابن أيا كـان هـذا الشىء ٠

١٦ ـ واذ يتضح ان مثل هـذه الافكار غير اللائقـة انما هى بعيدة عن الحقيقة ، لذلك فمن الضرورى أن نقول أن ما هو منجوهر الآب الذاتى كلية ، انما هو الابن ٠ لأن القول بأن الله يشترك فيـه كلية هو نفس القول بأن الله يلد ، وأن الله يلد ، ماذا يعنى هـذا القول سوى أنه يلد ابنا ؟

وكل الأشياء تشترك فى الابن بحسب النعمة النابعة من الروح ٠ ويتضح من هذا أن الابن نفسه ليس مشاركا لشىء ما ، وأما مايشترك فيه من الآب ، فهـذا هو الابن ـ لأنه باشتراكنا فى الابن ، يقـال عنا أننا نشـارك فى الله ، وهذا ما قاله بطرس : « لكى تصيـروا مشاركين فى الطبيعة الالهية » (٤٣) وكما يقول الرسول أيضا « أما تعلمـون أنكم هيـكل الله » (٤٤) وأيضـا « لاننا نحن هيـكل اللـه الحى » (٤٥) ٠

وعندما نرى الابن ، فاننا نرى الآب ، لأن فكر الابن وادراكه ،

---

(٤١) متى ١٧ : ٥ ٠
(٤٢) يوحنا ٥ : ١٨ ٠
(٤٥) ٢ كو ٦ : ١٦ ٠
(٤٣) ٢ بط ١ : ٤ ٠
(٤٤) ١ كو ٣ : ١٦ ٠

انما هى معــرفة تدور حــول الآب ، لأن الابن هو مولود ذاتى من جوهره · وكما أن الله يشترك فيه ، فلا يستطيع أحد أن يقول ان هذا (الاشتراك فيه) هو ألم وتقسيم لجوهر الآب [لأنه قد صــار أمرا واضحا ومعترفا به أن الله يشترك فيه ، والاشتراك فى الله هو نفسه الولادة (هو نفسه أن الله يلد)] · وهكذا يتضح أن المولود ليس بألم (بتغيير) ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك · وليس كفرا (من عــدم الايمان) أن يكون لله ولد ، مولود من ذات جــوهره ، وحينما نقول انه « ابن » ، و « مولود » فلا يعنى هذا تغيرا ولاتقسيما لجــوهر الله ، بل بالأحــرى ، نحن نعــرف انه ابن الله الوحيــد الجنس ، الأصيل ، والحقيقى ، وهذا هو ما نؤمن به ·

فان كان المــولود من جــوهر الآب ، انما هو الابن ، ــ كمــا أوضحنا وأثبتنا ــ فليس هناك أدنى شك ، بل هو أمر ظاهر جــلى للكل أن هذا المولود هو نفسه ، حكمة الآب وكلمته والذى به ومن خلاله خلق (الآب) كل الأشياء وصنعها · وهذا المولود هو بهــاء الآب الذى ينير به كل الأشياء ، والذى به يعلن نفسه لأولئك الذين يريد أن يعلن لهم · وهــذا المولود هــو أيضا شكله (المعبــر عنه) وصورته ، التى فيها يرى ويعرف ، لذا فانه « هو والآب واحد » ، ولأن من يرى الابن فانه يرى الآب أيضا ·

وهذا (المولود) أيضا هو المسيح ، الذى به قد أفتديت كــل الأشياء ، وبه أيضا خلقت الخليقة الجديدة (٤٦) · وأيضا فاذا كان الابن هكذا ، فلا يكون ملائما ــ بل أن هذا يكون خطرا جسيما ــ أن يقال انه « مخلوق من العدم » ، أو انه « لم يكن موجودا قبل أن يولد » · لأن من يتكلم هكذا عن المولود الذاتى من جوهر الآب ، يكون قد جدف مسبقا على ذات الآب ، اذ انه يعتقد عن الآب بمثــل هذه التعاليم التى يخادع بها فى تخيلاته عن المولود منه ·

---

(٤٦) انظر ٢ كو ٥ : ٧ ·

الفصل السادس :

الابن الوحيـد والثـالوث

١٧ ـ اذن ، فان هـذا وحـده كاف لدحض وهـدم الهرطقة الأريوسية ، ولكن عدم ارثوذكسيتها يمكن أن يظهر أيضا مما يأتى:

ان كان الله خالقا وصانعا ، وهـو يخلق مخلوقاته بواسـطة الابن ، ولا يستطيع أحد أن يرى الأشياء المخلوقة بأية طريقة أخرى، سوى باعتبارها مخلوقة بواسطة الكلمة ، أفلا يكون تجديفا ـ اذ بينما أن الله هـو الخالق ـ يأتى أحـد فيقـول أن كلمته الخـالقة وحكمته ، لم تكن موجودة فى يوم ما ؟ فان هذا مشابه للقول ، بأنه حتى الله لم يكن خالقا ، اذ انه لا يملك كلمته الخالق الذاتى ، الذى هو منه ، بل ما يخلق به ، انما يكون (فى هذه الحالة) قد جـلب اليه من خارجة ، ويكون غريبا عنا ، ويكون غير مماثل له حسب الجـوهر ·

وبعد ذلك ، فليقولوا لنا ـ أو بالاحرى ليتهم يرون من هـذا ، مقدار ضلالهم وعدم تقواهم فى قولهم « كان وقت عنـدما لم يكن موجودا » وأيضا « لم يكن موجودا قبل أن يولد » ـ لأنه ان لم يكن الكلمة دائما أزليا مـع الآب ، فلا يكون الثـالوث أزليا ، بل واحد مفرد هكذا كان من قبل ، وفيما بعد صار ثالوثا بالاضافة ، وهكذا بمرور الزمن ـ حسب رأيهم ـ فقد تزايدت المعرفة عن الله وتشكلت· وأيضا ان لم يكن الابن مولودا ذاتيا لجوهر الآب ، بل قد خلق من العدم ، اذن يكون الثالوث قد تكون من العدم ، وكان هناك وقت ما عندما لم يكن هناك ثالوث ، بل واحد مفرد · وهكذا يكون الثالوث فى وقت ما ناقصا ، ثم فى مرة أخرى يكون كاملا،فيكون ناقصا قبل صيرورة الابن ، ويكون كاملا حينما صـار الابن ، وهـكذا (على

أساس هذا الكلام) أيضا ، تحسب الخليقة مع الخالق ، والذى لم يكن موجودا فى وقت ما يحسب مساويا مع الله الذى هو كائن على الدوام ، ويمجد معه · وما هو أردأ من هذا حقا ، أن الثالوث يوجد متماثل مع ذاته ، اذ يكون مكونا من طبائع وجواهر غريبة ومختلفة عن بعضها ·

وهذا القول ليس شيئا آخر سوى أن الثالوث أصله مخلوق · اذن ما كنه هذه العقيدة عن الله ، التى لا تتماثل حتى مع ذاتها ، بل تسير الى الاكتمال عن طريق الاضافات · مع مرور الايام ، ففى وقت ما لا يكون موجـــودا هكذا ، وفى وقت آخـــر يكون موجـــودا هـــكذا ؟·

وهكذا يكون طبيعيا انه يمكن أن ينال اضافة جديدة ، ويستمر (فى نوال الاضافة) بلا نهـــاية ، كما حدث مرة فى البـــدء وأتخذ أصله بطريق الاضافة · فلا يكون هناك اذن شك انه يمكن أن يحدث فيه تناقص · لأن الاشياء التى تضاف وتزاد ، من الواضح ، انهـــا يمكن أيضا أن تطرح وتنقص ·

١٨ ـ ولكن ، حـــاشا لله ، أن يكون الأمر هكذا · فالثالوث ليس مخلوقا ، بل هو أزلى ، بل يوجد لاهـــوت واحد فى ثالوث ، وهناك مجد واحد للثالوث القدوس · وأنتم تتجاسرون على تمزيقه الى طبائع مختلفة · ومع أن الآب أزلى ، فانكم ، تقولون عن الكلمة الجالس معه انه « كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجودا · ومع أن الابن جـــالس مع الآب ، الا انكم أنتـــم تريدون أن تبعدوه عنـــه · فالثالوث منشىء وخالق ، وأنتم لا تتورعون أن تحطوا منقدره الى مستوى المخلوقات التى وجـــدت من العـــدم · انكم لا تخجلون أن تساووا بين الكائنات التى فى حالة العبودية ، وبين رفعة الثالوث ، وان تضعوا الملك رب الصباؤوت فى مرتبة واحدة مع رعاياه·كفوا عن التفكير فى خلط الأشياء التى لا يمكن أن تتحد معا ، أو بالاحرى،

كفوا عن التفكير فى مزج الأشياء غير الموجودة مع ذلك الذى هـو الكائن · ليس ممكنا أن تقولواهذه الاقوال على زعم أنكم تقـدموا مجدا وكرامة للرب ، بل العكس ، فأنتم تقدمون له عارا وهوانا · لأن من لا يـكرم الابن فانه لا يكرم الآب أيضا · فان كان التعليـم اللاهوتى كاملا الآن على أساس فهمـه كثالوث ، فهذه هى الديانة (العبادة) الحقيقية والوحيدة ، وهذا هو الصلاح والحق · وهذا هو الواجب أن يكون هكذا دائما ، الا اذا كان الصلاح والحق هى أشـياء صـارت فيما بعـد ، ويكون كمال اللاهـوت يحـدث عن طريق الاضافة · فمن اللازم اذن ، أن يكون هذا التعليم هكذا منـذ الأزل · لأنه ان لم يكن أزليـا (كثالوث) ، فليس منالواجب أن يكون هـكذا الآن (ليس من الواجب أن يكون ثالـوثا الآن حسب افتراضهم) ، ولكن ما هو خلاف ذلك ـ كما تدعون أنتم انه هكذا من البدء ـ فانه حتى الآن لا يكون ثالوثا ·

ولا يستطيع أحد من المسيحيين أن يحتمل مثل هؤلاء الهراطقة، لأنه يناسب الأمميين أن يتحدثوا عن ثالوث مخلوق ، ويضعونه فى مسـاواة مع المخلوقات · اذ من خصائص المخلوقات أنهـا تقبـل النقص والزيادة ·

أما ايمان المسيحيين فانه يعرف الثالوث المبارك على انه غيـر قابل للتغير ، وانه كامل ، وانه هو هكذا أزليا وعلى الدوام · فايمانهم لم يضف شيئا أكثر الى الثالوث ، ولم يعتبر أنه كان فى وقت ما ، ناقصـا ، لأن أيا من هـذين الأمرين انما هو ضـلال · ولذلك فان ايمانهم يعرف الثالوث بصورة نقية ولا يخلطونه مـع المخلوقات ، مقدما السجود للثالوث غير المنقسم ، وحافظا له وحدته اللاهوتية· وايمانهم يتجنب تجديفات الاريوسيين ، ويعتـرف ويعرف أن الابن موجود على الدوام لأنه أزلى كالآب الذى هو كلمته الأزلى أيضا ·

لذا فلنفحص هذا الأمر مرة ثانية الآن ·

١٩ ـ ان كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحيـاة ، كما جاء فى سـفر أرميا « تركونى أنا ينبوع المياه الحيـة » (٤٧) ، وأيضا « ان عرش المجد ذو المكانة الرفيعة هو موضع مقدسنا ، أيها الرب رجاء اسرائيل كل الذين يتركونك يخزون · والمتمردون عليك فى تراب الأرض يكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع الحياة » (٤٨) وقد كتب فى باروخ ، « أنكم قد هجرتم ينبوع الحكمة » (٤٩) · وهذا يتضمن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع، بل هما خاصة له. ولم يكونا ابدا غير موجودين ، بل كانا دائما موجودين · والآن فان الابن هو كل هذه الاشياء ، وهو الذى يقول « أنا هو الحياة » (٥٠) وأيضا « أنا الحكمة ساكن الفطنة » (٥١) · كيف اذن لا يكون كافرا من يقول «كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودا ؟ لأن هذا مثل الذى يقول تماما « كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافا خاليا من الحياة ومن الحكمة » · ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعا·لأن الذى لا يلد من ذاته لا يكون ينبوعا ، يا لكثرة السخافات التى فى هذا القول لأن الله يعد الذين يصنعون مشيئته انهم سيكونونكينبوع لا تنضب مياهه اطلاقا ، كما يقول أشعياء النبى « وسيشبعك (الرب) كما تشتهى نفسك ، وتتشدد عظامك ، وتكون كحديقة مروية جيدا ، وكينبوع مياه لا تنضب ميـاهه » (٥٢) فبينما أن الذى يقال عنه ، والذى هو فى الحقيقة ينبوع الحكمة ، يتجاسر هؤلاء ويجدفون عليه قائلين أنه عقيم ومجدب من حكمته الذاتية · الا أن أقوالهم هـذه الصادرة عنهم ، انما أقوال زائفة ، أما الحقيقة فتشهدبأن الله هو الينبوع الأزلى لحكمته الذاتية ، ولمـا كان الينبوع أزليا ، فبالضرورة يجب أن تكون الحكمة أزلية أيضا ، لأنه من خلال هذه الحكمة خلقت

---

(٤٧) ارميا ٢ : ١٣ ·
(٤٨) ارميا ١٧ : ١٢ ، ١٣ ·
(٤٩) باروخ ٣ : ١٢ ·
(٥٠) يو ١٤ : ٦ ·
(٥١) ام ٨ : ١٢ ·
(٥٣) اش ٥٨ : ١١ ·

كل الأشياء ، كما يرتل (يزمر)داود فى المزامير « كلها (أى الاعمال) بحكمة صنعت » (٥٣) ويقول سليمان « أسس الله الأرض بالحكة ، وبالفهم هيأ السموات » (٥٤) ٠

ونفس هذه الحـــكمة هى الكلمة ، « وبه » ، كما يقول يوحنـــا « خلقت كل الأشياء ، وبغيره لم يخلق شىء واحد » (٥٥) ٠

وهذا الكلمة هو المسيح ، لأنه يوجد « اله واحد الآب الذى منه جميع الاشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح ، الذى به جميع الاشياء ونحن به » (٥٦) ٠ فان كانت كل الاشياءقد خلقت به ، فهو لايمكن أن يكون بين جميع هذه الاشياء ٠ فالذى يتجاسر أن يقول عن (ذلك) « الذى به خلقت جميع الاشياء » ، انه واحد من بين جميع هذه الاشياء ، فبالتأكيد انه يفكر نفس هذه الافكار عن الله نفســه « الذى منه جميع الاشياء » وان كان أحد يتحاشى هذا القول كأمـــر شنيع ، ويستبعد الله عن جميع الاشياء حاسبا اياه ، آخر ، فانه يواصل نفسالقول أيضا بأن «الابن» الوحيد الجنسالذاتى من جوهر «الآب» ، هو آخر مختلف عن جميع الاشياء ٠

ولكونه ليس واحدا من بين الجميع ، فليس من الصواب أن نقول عنه « كان وقت ما لم يكن فيه موجودا » ، و « لم يكن موجودا قبـــل أن يولد » ٠ لان مثل هه الادعاءآت تليق أن تقال عن المخلوقات ، أما «الابن» نفسه فمثله مثل «الآب» ، وهذا الابن هو مولود الآبالذاتى من جوهره ، وهو «كلمته» الذاتى وهو «حكمته» الذاتية ٠ وهذه هى علاقة «الابن» الذاتية نحو «الآب»٠وهذا عينه يدل على أن «الآب» هو

---

(٥٣) مز ١٠٣ : ٢٤ (السبعينية) مز ١٠٤ : ٢٤ فى الطبعة الشائعة ٠

(٥٤) أم ٣ : ١٠ ٠

(٥٥) يو ١ : ٣ ٠

(٥٦) ١ كو ٨ : ٦ ٠

«أب» «الابن» · لكى لايقول أحد عن الله أنه كان «بدون كلمة» (غير عاقل) فى وقت ما ، ولا يقول عن «الابن» أنه لم يكن له وجود فى وقت ما · لانه ماذا يكون «الابن» بالنسبة لله ان لم يكن منه ؟ ، أو ماذا يكون «الكلمة» و «الحكمة» ان لم يكونا من ذاته على الدوام ··؟

٢٠ ــ متى اذن ، كان الله موجودا بدون ما هو خاص به ذاتيا؟ أو كيف يظن أحد أن ما هو خاص به ذاتيا انما هو غريب ومن جوهر مختلف ؟· لان الاشياء الاخرى كمخلوقات ليس لها مشابهة قط مع الخالق حسب الجوهر ، بل هى من خارجه ، قد خلقت بنعمته ومشيئته بالكلمة ولاجل الكلمة ، ولذلك فانها يمكن أيضا أن تتوقف (عن الوجود) يوما ما ، ان أراد الخالق ذلك ، لان هذه هى الطبيعة الخاصة بالمخلوقات ·

أما ما هو من ذات جوهر الآب (وهذا هو الذى سبق أن اعترفنا به انه هو الابن) ، فكيف لا يكون من الجسارة والكفر أن يقول أحد عنه أنه جاء من عدم ، وأنه « لم يكن موجودا قبل أن يولد » بل أضيف عرضا ، ويمكن ألا يكون موجودا فى وقت ما فى المستقبل ؟·

فالشخص الذى يفكر بامعان فى هذا الامر ، فانه سيميز أنه يحدث انقاص لكمال وملء جوهر الآب ، وهو سيرى أيضا بوضوح أكثر شفاعة وعدم معقولية هذه الهرطقة ، اذا فكر بأن الابن هو صورة وبهاء الآب ، وهو شكله (المعبر عنه) وهو حقيقته ·

لأنه بما أن النور موجود هكذا صورته أيضا ، أى بهاؤه وكيانه الحقيقى وهو رسمه الذى يعبر عنه تعبيرا كاملا ·

وأيضا بما أن الآب كائن هكذا تكون حقيقته (أى الابن) ، فأولئك الذين يقيسون صورة اللاهوت وهيئته بمقياس الزمن فليعتبروا مدى هوة الضلال التى ينحدرون اليها ·

لأنه ان لم يكن الابن موجـــودا قبـــل أن يولد ، فلا يكون الحق موجودا فى الله دائما ، وليس من الصواب أن نقول مثل هذا القول، لانه بما أن الآب كائن فالحق موجود فيه دائما ، الذى هو الابن الذى قال « أنا هو الحق » (٥٧)٠ والكيان الموجود يجب أن يكون فى نفس الوقت هو الشكل المعبر والصورة ٠ لأن صورة الله ليست مرسومةمن الخارج ، بل أن الله نفسه هو والدها ، والتى فيها ينظر هو ذاته ويبتهج بسببها ، كما يقول الابن نفسه « كنت أنا بهجته » (٥٨) ٠

فمتى اذن ، لم يكن الآب يرى نفسه فى صورته ؟ أو متى لم يكن يبتهج ، حتى يتجاسر أحـــد ويقول أن « الصورة هى من عـــدم » ، و « لم يكن الآب مبتهجا قبل أن تخلق الصورة » ؟وكيف يستطيـــع الخالق والصانع أن يرى نفسه فى جوهر مخلوق وصائر ؟ فمثلما يكون الآب هكذا يجب أن تكون صورته ٠

٢١ ـ هلم بنا اذن لنرى خصائص الآب بتدقيق لكى ندرك أن الصورة هى صورته الذاتية ٠

فالآب هو أزلى ، غير مائت ، قدير ، نور ، ملك ، ضابط الكل ، اله ، رب ، خالق ، وصانع ٠

هـــذه الخصائص هى التى يجب أن تكون فى الصورة ، حتى يكون حقيقيا أن من يرى الابن ، يرى الآب أيضا ٠

فان لم تكن هذه الخصائص موجودة (فى الصورة) ، ـ كما يظن الاريوسيون ـ أن الابن مخلوق وليس أزليا (ففى هذه الحالة) لن تكون هذه هى صـــورة الآب الحقيقية ، ولن يكون أمامهم سوى انهم يرفعون برقع الحياء ، ويقولون ، أن كلمة الصورة التى تطلق

---

(٥٧) يو ١٤ : ٦ ٠

(٥٨) ام ٨ : ٣٠ (السبعينية) ٠

على الابن ليست علامة مميزة لجـوهر مماثل ، انمـا هى فقط مجرد اسم له ٠

ولكن ، مرة أخرى ، فان هذا ، يا أعداء المسيح ، ليس بصورة وليس رسما ، لانه أى شبه بين المخلوقات التى هى من عدم وبين ذلك الذى أحضر الاشياء من العدم الى الوجود ٠

لانه كيف يمكن أن يكون ما هو غير كائن ، شبيها بذاك الذى هو الكائن حقيقة ، اذ انه كان فى وقت ما ناقصا عنه لكونه لم يكن موجودا ، ولانه كان له مكان داخل نظام الاشياء المخلوقة ؟

لأن الآريوسيين ، وهم يرغبون أن يكون الابن هكذا ، يستحسنون تعليلات ابتكروها لأنفسهم قائلين : « ان كان الابن هو مولود الآب وصورته ، وأنه شبيه بالآب فى كل شىء ، يلزم انه كما ان الابن قد ولد (بضم الواو وكسر اللام) منه ، هكذا لابد أن يلد هو أيضا ، ويصير هو أيضا أبا لابن ٠

وأيضا فان الذى يولد (من الابن) يلزم أن يلد هو أيضا ، وهكذا الى ما لا نهاية ، فهذا هو ما يشعر أن المولود شبيـه بالذى ولـده » ٠

حقا ان أعداء الله هؤلاء ، انما يخترعون تشنيعات وافتراءات ، اذ انهم لكى لا يعترفوا بأن الابن هو صورة الآب ، فانهم يتصورون صفات جسدية وأرضية فيما يخص الآب ذاته ، ناسبين اليه التقسيمات والتوالد ، والحمل ٠ اذن فان كان الله مثل الانسان ، فانه يكون والدا كالانسان ، لكى يكون الابن أيضا والدا لابن آخر ، وهكذا على التوالى وهكذا يصير الواحد من الآخر ـ حتى يزداد عـدد الآلهة بالتعاقب ، كما يظنون ٠

فلو أن الله ليس مثل الانسان (وهو فى الحقيقة ليس مثله) ، فانه لا ينبغى أن تطبق الخصائص الانسانية عليه (على الله) ٠

لأن الحيوانات غير الناطقة ، وكذلك البشر ، انما يتوالدون على التوالى الواحد من الآخر ، منذ بدء الخليقة ٠ والمولود الذى ولد من أب ، هذا الأب هو ولد (من أب) ومن الطبيعى أن يصير هذا المولود أيضا والدا لغيره ، متخذا خاصية الولادة فى داخله من أبيه ، تلك الخاصية التى تكون هو نفسه بها ٠ ولهذا من الممكن أن يطلق على مثل هؤلاء الناس اسم أب أو اسم ابن بالصفة الخصوصية . اذ لا يكمن فيهم اطلاقا ما هو خاص « بالأب » (أى صفة الابوة) . وما هو خاص « بالابن » (أى صفة البنوة) ٠ لأنه (أى الابن) هو نفسه ابن لوالده ، وفى نفس الوقت هو أب للمولود منه ٠

ولكن الأمر ليس كذلك فيما يخص الألوهية لأن الله ليس مثل الانسان ، لأن الآب هو ليس من أب ، ولذلك فهو لا يلد آخر يصير أبا فيما بعد . والابن أيضا لا يخرج من الآب بالتوالد ، وهو (أى الابن) ليس مولودا من أب سبق له أن ولد (بضم الواو وكسر اللام). لذلك فهو (أى الابن) لم يولد لكى يلد ٠

لذلك ففيما يخص اللاهوت وحده ، فان الآب هو أب بصفة مطلقة . والابن هو ابن بصفة مطلقة ، وفى هذين وحدهما ، ووحدهما فقط . يظل : الآب أب دائما ، والابن ابن دائما ٠

الفصل السـابع :

اعتراضات الأريوسيين والرد عليها

٢٢ ـ اذن فالذى يبحث متسائلا ، لمـاذا لا يكون الابن والدا لابن ؟ ، فليبحث أولا ، لمـاذا لم يكن للآب والد · ولكن كلا هذين الأمرين بعيد عن الصواب . ومليء بكل أنواع الكفر والجحود · لانه كما أن الآب هو دائما آب ، وأنه لا يستطيع أن يصير أبنا فى يوم من الايام ، هكذا بنفس الطريقة ، فان الابن هو دائما ابن ، ولن يصبح أبا فى يوم من الايام · لانه فى هذا بالأحرى يثبت ويتضح انه رسم الآب وصورته ، ويظل باقيا كما هو بدون تغيير ، لكنه قد حصل على ذاتيته من الآب ومماثلته له ·

أما ان كان الآب يتغير ، فان الصورة أيضا ستتغير فى هـذه الحالة · فانه هكذا تظل الصـورة والبهاء ثابتة تجـاه ذاك الذى ولدهـا ·

فان كان الآب غير متغير ويبقى هـكذا دائما كما هـو ، فمن الضرورى أيضا أن تبقى صورته كما هى ولن تتغير ·

اذن فالابن هو ابن من الآب ، ولذلك فهو لن يصير شيئا آخـر سوى ذاك الذى هو من جوهر الآب الذاتى ·

اذن فمن العبث أن يخترع الحمقى هذا (الاعتراض) أيضا ، وهم الذين يرغبون فى فصل وابعاد الصورة عن الآب ، لكى يساووا الابن بالمخلوقات ·

وبنـــاء على ذلك · فان مشـــايعى أريوس ـ وضعوا الابن بين مصاف المخلـــوقات ـ بحسب تعليم أوســـابيوس ـ (٥٩) معتبـــرينه كأنه مثل الأشياء التى خلقت بواسطته ، وبذلك فانهم ابتعدوا عن الحقيقـــة ·

وهم فى بداية اختراعهم لهذه الهرطقة ، كانوا يجولون معبأين بكليمات خداع ماكرة ، جمعوها معا ، بل وهم الى الآن ، عنـــدما يلتقى بعضهم مع الصبية ، ويسألونهم ، ليس من الكتب المقدســـة طبعا ، بل من « فضلة قلوبهم » يتقيأون قائلين : « من هو ذاك الذى خلقه الكائن من الكائن هل هو ذلك الغير كائن أم هو الكائن ؟·

« فهل اذن قد خلقه (الابن) وهو كائن أم وهو غير كائن ؟ »

« وهل يوجد واحد فقط غير مخلوق ἀγένητον أم اثنـــان غير مخلوقين ؟ » ·

« وهل هو ذو ارادة حرة ، ولا يتغير باختياره الذاتى ، رغم أنه من طبيعة متغيرة ؟ ، لأنه ليس كالحجر يظل ثابتا بلا حركة من ذاته · ثم يتقدمون بعد ذلك الى النســـوة الغريرات ، ويخاطبوهن أيضا ، بكليمات مخنثة قائلين : « هل كان لك ولد قبل أن تلديه » ؟

---

(٥٩) كان أوسابيوس أسقفا لنيقوميدية وكان زميلا لأريوس فى مدرسة لوسيان بأنطاكية وظل صديقا له على الدوام · وأخذ على عاتقه أن يقـــوم بتأييد آريوس تأييدا مطلقا بعد ادانته بواسطة المجمع المسكونى الأول (نيقية ٣٢٥) وعمل بجد عملا متواصلا لأجل قبول أريوس من جديد فى الكنيسة وعلى الرغم من عدم نجاحه فى ذلك ، فان الاريوسية تدين له بأنها لم تتلاش وتختف فورا بل انها ظلت كخطر داهم جسيم لفترة طويلة على الكنيسة ·

فكما انه لم يكن لك ولد هكذا يضا ابن الله لم يكن موجودا قبل أن يولد » وهكذا فان عديمى الشرف يتلاعبون بمثل هذه الاقوال وهم يسخرون مشبهين الله بالناس ، زاعمين أنهم مسيحيون ويبدلون مجد الله « بشبه صور الانسان الذى يفنى » (٦٠) ٠

٢٣ ـ ومثل هـذه الأقوال المفرطة فى الغبـاء والحماقة كان يجب ألا يرد أحد عليها ، الا انه ، لكى لا تبدو هرطقتهم وكأنها أمر أكيد ، فانه يكون من الواجب أن نفندها ، خاصة من أجل النسـاء الغريرات اللاتى انخدعن منهم بسهولة ٠

وما داموا يقـولون هـذه الاقوال ، فينبغى عليهم أن يسـألوا المهندس أيضا هكذا « هل تستطيع أن تبنى بدون استخدام المـواد الضرورية ؟ » فكما انك أنت لا تستطيـع فهكذا الله أيضا لم يـكن ليستطيع أن يخلق كل شىء بدون استخدام المواد الضرورية ٠

أو كان من الواجب أن يسألوا كل انسان « هل يمكنك أن تكون موجودا بغير مكان ؟ فكما انك لا تستطيع هكذا فان الله أيضا يوجد فى مكان » ٠ ليتهم يواجهون السامعين ، وعندئذ سيخجلون منهم ٠

أو فلماذا عندما يسمعون أن لله ابنـا ، ينكرون هـذا الأمر ، مفسرين هذا الانكار بما يحدث بينهم ؟

فى حين انهم ان سمعـوا أن الله يخلق ويصنع ، لا يعـودوا يعارضون ذلك بالأمور البشرية ؟ وكان يجب عليهم فى حالة الخلق أيضا أن يفهمـوه بحسب ما يحـدث بين البشر ، وأن يزودوا الله مقدما بالمـادة اللازمة ، وبذلك فانهم ينكرون أن الله هو الخالق ، وتبعا لذلك فانهم يصلون الى التمرغ فى الوحل مع المـانويين ٠

---

(٦٠) انظر رو ١ : ٢٣ ٠

فان كانت الفكرة عن الله تسمو فوق هذه الأفكار ، فان من يسمعها يؤمن ويعرف أن الله موجود ليس كما نوجد نحن ، بل أنه موجود كاله ، وأنه يخلق لا كما يخلق الناس ، بل هو يخلق كاله · ومن هذا يتضح أنه يلد ليس كما يلد الناس ، بل هو يلد كاله · لأن الله لا يقتدى بالبشر ، بل الاحرى البشر (هم الذين يقتدون بالله) لان الله ـ على وجه الخصوص ـ هو وحده حقا الآب لابنه الذاتى ، أما الآباء (البشريون) فقد دعوا كذلك آباء لأولادهم ، من الله « الذى منه تسمى كل أبوة فى السموات وعلى الارض » (٦١) وان كان ما يقولونه يبقى بدون تحقيق أو مراجعة ، فانهم سيظنون أن كلامهم معقول ، وأما عند مراجعة كلامهم بفهم واع ، فسنجد أن كلامهم هذا يستدعى الضحك والسخرية الشديدة ·

٢٤ ـ أول كل شىء ، فان أول سؤال من اسئلتهم هذه ، يعتبر لا معنى له بل هو غامض ، لانهم لا يوضحون ، من هو الذى يسألون عنه ، حتى يجيب عليه من وجه اليه السؤال · فهم يقولون بسذاجة « الكائن ، هو ذلك الذى لا يكون موجودا » ·

اذن ، فمن هو الكائن ، وما هى الاشياء غير الكائنة أيها الاريوسيون ؟· أو من هو « الكائن » ومن هو « غير الكائن » ؟ ومن الذى يقال عنه « كائن » أو « غير كائن » ؟ اذ انه فى وسع ذلك الذى هو الكائن أن يصنع الاشياء غير الكائنة ، والاشياء الكائنة ، والاشياء التى كانت من قبل ·

---

(٦١) أفسس ٣ : ١٥ ·

اذن فالنجار والصائغ والفخارى ، كل منهم بحسب فنه الخاص، يشكل المـادة الموجودة قبلا ، صانعا منها الشكل الذى يريده ٠

والله ذاته ، اله الكل ، اذ قد أخذ من تراب الأرض الذى كان موجوا ، جعل منه الانسان فى الحال ، وهذه الأرض نفسها التى خلق منها الانسان لم تكن موجودة من قبل ، ومنثم أتى هو بهـا الى الوجود بواسطة كلمته الذاتى ٠

فان كانوا يتساءلون هكذا عن الامور ، فانه يتضح أن الخليقة لم تكن موجـودة قبل أن تخلق ، فى حين أن البشر (أى النجـار والصائغ والفخارى) ، يشكلون المـادة الموجودة قبلا ، وهكذا يظهر كلامهم مفككا غير مترابط ٠ ولذا فان كلا من الكائنات وغير الكائنات يمكن أن تخلق كما سبق أن قلنا ٠

ولكن ان كانوا يتحدثون عن الله وعن كلمته ، فليضيفوا على سؤالهم ما ينقصه ، ودعهم يسألون هكذا ٠ « هل كان الله ، الذى هو كائن ، موجودا فى وقت ما ، بدون كلمة ؟ » وكونه هو نور ، فهل كان بلا ضـياء (هل كان مظلما) ؟ أم انه كان هـو دائما أبا الكلمـة ؟

أو بمعنى آخـر : « هل خلق الآب الذى هو كائن الكلمة غير الكائن ، أم أن الكلمة الذى هو مولود من جوهره الذاتى ، كان دائما موجودا عنده فى داخله ؟٠

وهذه الأسئلة تجعلهم يعرفون انهم انما يتجاسرون ويقحمون

coptic-books.blogspot.com

أنفسهم فى اختراعات ومغالطات عن الله وعن ذلك الذى هو منه · فمن يستطيع أن يحتمل سماعهم وهم يقولون ان الله كان فى وقت ما بدون كلمة ·؟ لأنهم يسقطون ثانية ويهوون فيما هم عليه من ضلالات سابقة ، بالرغم من محاولاتهم للتهرب من هذا واخفائه بمغالطاتهم ودهائهم المضلل ، ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك ·

فلا يرغب أحد اطلاقا أن يسمعهم وهم يشككون قائلين أن الله لم يكن أبا دائما ، بل صار أبا فيما بعد ، لكى يتخيلوا ان كلمته أيضا ، لم يكن موجودا فى وقت ما ·

اذ انه توجد براهين كثيرة سبق ذكرها ، تدحض وتكذب أقوالهم · فهاهو يوحنا يقول « كان الكلمة » (٦٢) وهذا بولس يكتب أيضا « الذى هو بهاء مجده » (٦٣) وأيضا « الكائن فوق الكل الها مباركا الى الأبد · آمين » (٦٤) ·

٢٥ ـ كان من الافضل لهم أن يهدأوا ويصمتوا ، ولكن بما انهم لا يصمتون ، فلا يتبقى الا أن يقوم أحد بالرد بجرأة على سؤالهم الوقح · فربما عندما يرون أنفسهم وهم مقيدون بنفس هذه السخافات والضلالات ، فقد يتوقفون عن الصراع ضد الحق ·

واننا ندعو الله بشدة أن يترآف علينا ، ويأتى لمعونتنا لكى نتمكن من الرد عليهم عندما يتساءلون ويقولون : « هل الله الكائن

---

(٦٢) يو ١ : ١ ·

(٦٣) عب ١ : ٣ ·

(٦٤) رو ٩ : ٥ ·

قد صار الى الوجود فى حين أنه لم يكن موجودا ؟ أم انهكان موجودا قبل أن يصير الى الوجود ؟ فان كان هو كائن ، فهل هو صنع نفسه، أم انه جاء من العدم وأظهر نفسه بغتة ؟ » · ان مثلهـذا التساؤل لهو سخيف ومناف للعقل ، بل أكثر من ذلك فهو ليس منافيا للعقـل فقط بل هو ملىء بالتجديف أيضا ، الا انه فى الواقع لايختلف عما هو عندهم · لان أقوالهم الاخرى (أى جوابهم على السؤال) مليئة بكل أنواع الكفر وعدم التقوى · لانه ان كان أحد يتساءل عن الله بهذا الاسلوب ، فيعتبر هـذا تجديفا وكفرا شـنيعا ، فانه يعتبـر أيضا تجديفا أن يسأل أحد نفس هذه الاسئلة عن كلمته · فلأجل دحض مثل تسـاؤلهم الاحمق وغير المعقول هـذا ، فمن الضرورى اذن أن نجيب هكذا : ان الله كائن وهو كائن منذ الازل ، وحيث أن الآب كائن دائما ، فان بهاءه أيضا الذى هو كلمته ، هو أزلى كذلك · وأيضا فان الله الكائن ، عنده الكلمة من ذاته وهو أيضا كائن ·

فلا الكلمة أتى الى الوجود فيما بعد ، أى بعد أن لم يكن موجودا من قبل ، ولا الآب كان فى وقت ما بدون كلمة · لان التجاسر المتهور على الابن يؤدى الى التجديف على الآب ، كما لو كان قد ابتـدع لنفسه من خارجه حكمة وكلمة وأبنا · لانك ان استخدمت واحـدة من هذه (الاوصاف الثلاثة) ، فانما هى تعنى المولود من الآب كما سـبق أن قيـل ·

ولذلك فان سؤالهم هذا يعتبر متناقضا ، ولانهم ينكرون الكلمة (مصدر العقل) ، فمن الطبيعى أن يكون سؤالهم مناقضا للعقـل والمنطق ·

وكما أنه عندما يرى أحدهم الشمس ، فيأخذ فى التساؤل عن بهائها ويقول : « هل ما هو كائن (الشمس) ، قد صنع ما هو غير موجود أم ما هــو موجــود » فمثـــل هــذا الشخص الذى يسأل هكذا يعتبر أنه لا يفــكر تفــكيرا ســليما ، بل يعتبــر خـــرقا فاقد اللب ، لانه يتصور أن ما هو صادر بكليته عن النور ، انه من خارج النور ، ويتساءل عنه قائلا متى ؟ وأين ؟ وعنــدما ؟ · فان كانت (الشمس) قد صنعت ، فانه يتصور مثل هذه الاشياء عن الابن وعن الآب ، ويأخذ فى التساؤل عنهما بنفس الطريقة ولكن تساؤله يكون بجنون أعظم بكثير ، متصورا أن الآب جلب اليه الكلمة من خارج ذاته ، ويقول عن الذى هو بطبيعته مولود ، أنه مخلوق ، وهــو يجادل بذهن مبلبل قائلا « انه لم يكن موجودا قبلأن يولد » فليسمعوا الجواب على سؤالهم · فان الآب الكائن قد صنع الابن الكائن ، لان « الكلمة صار جسدا » (يو ١ : ١٤) · وبينما هو ابن الله فقــد جعله ابن الانسان أيضا عند انقضاء الدهور ، الا اذا قالوا حسب تعليــم الساموساطى (٦٥) ، انه لم يكن موجــودا قبــل أن يصيــر انسانا · ويكفيهم هذا ردا منا على سؤالهم الاول ·

---

(٦٥) كان بولس الساموساطى أسقفا لانطاكية (٢٦٠ ـ ٢٦٨) وأدين فى عام ٢٦٨ بعد سلسلة من المجامع التى من خلالها ظهر ضلال عقائده ·

وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيــح كان مجرد انسانا عاديا ثم صار الها بسبب جدارة عظمة شخصيته التى استحقها بسبب التبنى (ولذلك) سمى مشايعوه باسم أصحاب تعليم التبنى) وهكذا انكر الساموساطى تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجســد ولكنه اعترف فقط ان المسيــح أفضل من موسى والانبياء ·

٢٦ ـ يا معشر الاريوسيين ، وأنتم تذكرون نفس أقوالكم ، خبرونا : « هل الذى هو كائن ، فى حاجة الى من هو غير كائن ،أم الى من هو كائن ، لاجل خلقة كل الاشياء ؟ » لانكم قلتم انه صاغ لنفسه الابن كأداة لكى يخلق بواسطته كل الاشياء ٠

أيهما أفضل ، اذن ، هل الذى يحتاج أم الذى يسد الاحتياج ؟٠

أم أن كلا منهما يستكمل احتياج الواحد للآخر ؟ لانه بقولكم مثل هذا الكلام فانكم تثبتون ضعف الخالق ، ان كان لا يقوى وحده على أن يخلق كل الاشياء بل يبتكر لنفسه أداة من الخارج ، كما لو أن نجارا أو صانع سفينة لا يستطيع أن يعمل أى شىء بدون مطرقة أو منشار ٠

هل هناك ، اذن ، ما هو أكثر كفرا من هذا ؟ أو ما الذى يدعو عموما للانشغال بمثل هذه الامور المخيفة ، اذا كان ما سبق أن قيل يكفى لاثبات أن أقوالهم ما هى الا محض وهم وخيال ٠

• • •

الفصل الثـامن :

الاعتراضات والرد عليها (بقية)

وأما من جهة تساؤلهم الآخر الشديد فى سخافته وحماقته . وهو التساؤل الذى وجهوه الى النسوة الغريرات · وحتى بخصوص هذا التساؤل ، فلم يكن ينبغى أن يجاب عليه من أحد سوى بما سبق أن قلناه فقط · فانه لا يجب مقارنة الولادة التى من الله بالولادة فى طبيعة البشر ·

ولكن جدير بنا أن نرد عليهم بهذا الاسلوب ، لكى يدينوا أنفسهم بخصوص هذا الامر : ولذلك نقول : أنه من المؤكد ، لو أنهم سـألوا الوالدين عن ابنهم ، دعهم يفكرون من أين جاء الطفل المولود · لانه ان لم يكن للوالد ولد قبل أن ينجبه ، فانه حتى بعد الحصول عليه، لم يكن حصوله عليه طبعا من خارجه ولا غريبا عنه بل هو من ذات جوهره ومطابق لصورته ، حتى أن هذا (الاب) يرى (بضم الياء) فى ذاك (الولد) وذاك (الولد) يرى (بضم الياء) فى هـذا (الاب) ·

فان كانوا ينتقون عنصر الزمن من الامثلة البشرية عن الولادة فلما لا يأخذون بالمثل من هذه الامثلة البشرية ، ان الابناء يولدون بحسب طبيعة آبائهم ومن ذاتهم ، بدلا من أن يعملوا (أى الاريوسيين) كالحيات التى تنتقى من الارض فقط ، ما يلائم أن يصير سما ·

فكان اذن من الواجب ، أنهم حينما يتباحثون مع الوالدين قائلين لهم : « هل كان لك ولد قبل أن تنجبه ؟ » كان ينبغى أن يضيفوا ويقولوا : « ان كنت قد حصلت على ولد ، فهل أنت اشتريتـه من الخارج كما تشترى بيتا أو أى ممتلكات أخرى ؟ » وحينئذ فانهـم يجيبـونك قائلين « انه ليس من خارجى ، بل هـو من ذاتى · لان

الممتلكات هى من خارج وتنتقل من واحد الى آخر ، أما الابن فهو منى من ذات جوهرى ومطابق له ، حيث انه لم يأت الى من آخر ، بل هو قد ولد منى ، ولهذا السبب فانى بكل كيانى موجود فيه ، بينما اظل أنا نفسى كما أنا » ٠

لان هذا هو واقع الحـــال ، حتى ان اختلف الوالد (عن الله الآب) من ناحية الزمن ، لانه كانسان قد أتى الوجود فى الزمن ، ولكنه هو أيضا كان يمكن أن يكون عنده ابنه موجود معــه دائما ، لو لم تمنعه طبيعته من ذلك ، أى لو كانت القدرة الانجابية لا تعوقه عن ذلك ٠

حقا ان لاوى كان لا يزال فى صلب جده الاكبر (ابراهيم) (انظر عب ٧ : ٥ ــ ١٠) قبل أن يولد هو ، وقبل أن يولد جده (اسحق) ٠ اذن حينما يبلغ الانسان هذه السن الملائمة ، التى تمكنه فيها الطبيعة من الانجاب ، فان المرء يصير حالا ، أبا لابن يولد منه ، ما دامت الطبيعة لا تعوقه ٠

٢٧ ــ ولذلك ان كانوا عندما يسألون الوالدين عن الاولاد ، ويعرفون منهم بأن الاولاد الذين بالطبيعة ليسوا من خارج ، بل هم من والديهم ، دعهم اذن يعترفون أيضا بخصوص كلمة الله بأنه من الآب كليــة ٠

وعندما يجادلون بخصوص الزمن ، دعهم يقولون ما الذى يمنع الله من أن يكون هو أبو الابن على الدوام ــ دعهم يقولون ما الذى يمنعه من ذلك (لانه ينبغى البرهنة على أنهم كافرين مما يسألون عنه وهم ساخرون) ، لانه قد تم الاقرار والاعتراف بأن كل ما هو مولود انما يأتى من أب ٠

اذن فهم مثلما سألوا النساء عن الازمنة ، دعهم أيضا يسألون عن الشمس بخصوص اشعاعها ، وعن الينبوع بخصوص المــاء

الذى يتـدفق منه ، وذلك لكى يحكموا كلية على أنفسهم ، عنـدما يفكرون شيئا من هذا القبيل عن الله · وذلك حتى يتعلموا أنه بالرغم من أن كل هذه الاشياء مولودة ، الا أنها كائنة دائما مع تلك الاشياء التى خرجت منها ·

فان كان مثل هؤلاء الوالدين لهم مع أبنائهم « قرابة بالطبيعة » وأيضا « وجـود دائم » معهـم ، فاذا كانوا يظنون ان الله أقل من المخلوقات ، فلمـاذا لا يصرحـون بكفرهم علانية ؟ ولكن ان كـانوا لا يتجاسرون أن يقولوا هذا علانية ، بينما أن الابن يعترف به بأنه ليس من خارج (الآب) ، بل هو مولود بالطبيعة من الآب · وأنه لا يوجد أى شىء يعوق الله (لان الله ليس مثل الانسان ، بل هـو أعظم من الشمس ، بل بالحرى فانه اله الشمس) ، فيتضح من ذلك أن الكلمة هو من الآب وأنه موجود معه دائما ، والذى بواسطته قد أبرز الآب الى الوجود كل الاشياء التى لم تكن موجودة من قبل · ولان الابن اذن لم يأت من العدم بل هو أزلى ومن الآب ، فان هـذا يثبت الامر نفسه ·

أما سؤال الهراطقة الموجة للوالدين ، فانه يكشف خبثهم وسوء نيتهم · فانهم عرفوا ما هو بحسب الطبيعة ، والآن قد تم فضحهم بخصوص موضوع الزمن ·

٢٨ ــ ان ولادة الله لا يجب أن تقارن بطبيعة البشر ، وكذلك لا يجب اعتبار ابن (الله) جزءا من الله ، أو اعتبار أن الولادة تعنى أى ألم شهوة على الاطلاق ، واذ نحن نكتفى بما سبق لنا قوله ، فاننا الآن نعيد نفس الكلام وهو أن وجود الله ليس كوجود الانسان:

فان البشر يلدون بالشهوة ، حيث أن لهم طبيعة متغيرة ، وهم ينتظرون الى الوقت (للولادة) ، نظرا لضعف طبيعتهم ذاتها ، ولكن لا يمكن أن نقول هـذا الكلام بالنسبـة لله · لان الله غير مركب من

أجزاء ، بل بسبب كونه بلا هوى أو شهوة ، كما انه بسيط غير مركب، لذلك فهو أبو الابن دون حـدوث تغيير فيه ودون انفصال · وهذا الامر يوجد بشأنه دليل وبرهان قاطع من الكتب الالهية ·

لان كلمة الله هو ابنه ، والابن هو كلمة الآب وحكمته ، فان الكلمة والحكمة ليس مخلوقا ، وليس هو جزءا من ذلك الذى له كلمتـه (أى الآب) ، ولا هو مولود بالالم والشـهوة · فكلا (اللقبـان) وحدهما (بتشديد الدال) الكتاب وأعطاهما لقب « ابن » بصـورة مؤكدة ، لكى يبشر به انه المولود الطبيعى والحقيقى للجوهر ، وذلك حتى لا يظن أحد أن المولود هو بشرى ، بينما هو (الكتاب) يقصد جوهره ، ولهذا يقول الكتاب أيضا أنه الكلمة والحكمة والبهاء . وذلك لكى ندرك من هذا أن الولادة بلا ألم أو شهوة ، وانها أزليـة ولائقة بالله · اذن فأى تغيير أو شهوة هناك ، أو أى جزء فى الآب أيضا يجب أن يسألوا الرجال عنالكلمة ، وذلك لكى يعرفوا أن القول الذى ينطقون به ليس تغييرا لهم ، ولا هو جزءا من عقلهم·فان كانت ؟يضا يجب أن يسألوه الرجال عن الكلمة ، وذلك لكى يعرفوا أن القول ينطقون به ليس تغييرا لهم ، ولا هو جـزءا من عقلهم · فان كانت كلمة البشر بمثل هذه الكيفية ، رغم انهم يخضعون للتغيير والشهوة، ورغم كونهم متجزئين ، فلماذا يفكرون فى التغيير والانقسام بالنسبة لله غير الجسدى وغير المنقسم ، لكى عن طريق التظاهر بتوقير الله ، ينكرون ولادة الابن الحقيقية والطبيعية ؟ ·

ان المولود الذى هو من الله ليس شـهوة أو تغييرا · ويكفى ما سبق لاثبات هذا · خاصة وقد تم الآن اثبات أن الكلمة ليس مولودا بحسب الالم والشهوة · فليسمعوا أيضا نفس الكلام عن الحكمة · فان الله ليس مثل الانسان ، ولا يتخيلوا عنه شيئا بشريا · لان البشر خلقوا لتقبل الحكمة ، أما الله ، فهو لا يشترك فى شىء ، بل هو نفسه أب لحكمته الخاصة ، التى يلقب المشتركون فيها عادة بلقب حكماء ·

coptic-books.blogspot.com

والحكمة نفسها أيضا ليست شهوة أو تغييرا ، وهى ليست جزءا ، ولكنها المولود الذاتى للآب · لذلك فهو دائما أب · وخاصية الاب ليست خاصية أضيفت لله فيما بعد ، وذلك لكى لا يعتبر انه خاضع للتحول ، لانه ان كان من الصلاح أن يكون الله أبا ، ولكنه لم يكن دائما أبا اذن ، فواعجبى ألا يكون الصلاح موجودا فى الله دائما!·

٢٩ ـ انهم يقولون « ها هو الله كان على الدوام خالقا ، وان قدرته على الخلق ليست اضافية بالنسبة له ، فهل اذن لان الله خالق ، تكون مخلوقاته أزلية ، وهل يكون من الصواب أن نقول عن هذه المخلوقات أنها كانت موجودة قبل أن توجد ؟ » يا لجنون الاريوسيين ، فأى مشابهة هناك بين الابن والخليقة ، حتى يقولوا عن من هو خاص بالآب نفس ما يقولونه عما يخص المخلوقات ؟ وكيف يصر هؤلا على جهلهم بعد ما تبين مما سبق الفرق العظيم بين المولود والمخلوق · لذلك فمن الضرورى أن نعيد نفس الكلام ونقول أن الخليقة هى من خارج الخالق ، كما سبق القول ، فى حين أن الابن هو المولود الذاتى من الجوهر · لذلك فليس هناك حاجة لوجود الخليقة دائما ، لان الخالق يصنعها حينما يشاء ، أما المولود فلا يخضع فى وجوده للمشيئة ، بل هو خاص بذات الجوهر · فالصانع يلقب صانعا ويكون كذلك ، حتى لو لم تكن له مصنوعات بعد ، أما الاب فلا يلقب أبا ولا يكون كذلك ما لم يكن له ابن موجود·

أما ان كانوا يبحثون الامر بفضول وحب استطلاع قائلين ، لماذا لا يخلق الله على الدوام ، وهو القادر أن يخلق دائما ، فان جسارتهم هذه هى جسارة المجانين ، لان « من عرف فكر الرب ، أو من صار له مشيرا » (رو ١١ : ٣٤) أو « كيف تقول الجبلة للخزاف ، لماذا صنعتنى هكذا ؟ » (رو ٩ : ٢٠) ولكن لكى لا نصمت عن الرد على منطقهم الضعيف هذا ، فليسمعوا : أنه بالرغم

من أن الله له القدرة على الدوام أن يخلق ، الا أنه ليس فى استطاعة المخلوقات أن تكون أزلية · لان هذه المخلوقات وجدت من العدم ولم تكن موجودة قبل أن تخلق · فكيف يمكن اذن لهذد المخلوقات التى لم تكن موجودة قبل أن تخلق ، أن تكون موجودة مع الله الموجود دائمـا ؟·

ولذلك فان الله وهـو يهتـم بما فيـه منفعـة الخـلائق ، فانه قد خلق كل الاشياء ، عندما رأى أن هذه الاشياء يمكنها أن تبقى بعـد أن تخلق ·

وكما أنه كان قادرا منذ البدء ، أن يرسل كلمته فى أيام آدم أو فى أيام نـوح ، أو فى أيام موسى ، ولـكنه لم يرسله الا فى آخـر الدهور ، لانه رأى أن هذا نافع لكل الخليقة ، هكذا أيضا فانه خلق المخلوقات عندما أراد ، وعندما كان هذا نافعا لهم ·

أما الابن ـ فلكونه غير مخلوق ، بل هو من ذات جوهر الآب ، فانه موجـود دائما ·

ولان الآب موجـود دائما ، فلابد أن يـكون الذى هو من ذات جوهره ، موجود دائما أيضا ، والذى هو حقا كلمته وحكمته ·

أما الخلائق ، وان لم تكن قد وجدت بعـد ، فأن هذا لا ينقص من شأن الخالق ، لان له القدرة أن يخلق عندما يشاء · أما المولود فان كان لا يكون موجودا على الدوام مع الآب ، فان هذا ينقص من كمال جوهره · ولاجل هذا فان المخلوقات قد خلقت عندما شاء هو من خلال كلمته ، أما الابن فهو ـ على الدوام ـ المولود الذاتى لجوهر الآب ·

الفصل التاسـع :

عبـــارة « غير المخلوق »

٣٠ ـ ان أقوالنا هذه تبهج المؤمنين ، ولكنها تحزن الهراطقة الذين يرون هرطقتهم وقد دحضت وأبطلت ، بهذه الاقوال ٠

وأيضا فان سؤالهم ذلك الذى يقولون فيـه « هل هناك واحـد فقط غير مخلوق (ἀγένητον) أم اثنان ؟ » يثبت أن تفكيرهم ليس مستقيما ، بل هو مريب ومليء بالغش والخداع ٠ فانهم لايسألون هذا السؤال من أجل اكرام الآب ، بل من أجل اهانة الكلمة ٠ فلو أن أحد الناس وهو يجهل خبثهم ودهاءهم أجابهم بأن الغير مخلوق هو واحد ، ففى الحال ينفثون سمومهم قائلين : « اذن فالابن ينتمى الى المخلوقات ، وحسنا ما قلناه بأنه لم يكن موجودا قبل أن يولد » وهكذا فانهم يخلطون كل الاشياء وبهذا يثيرون الاضطرابات،وذلك لكى يفصلوا الكلمة عن الآب ، ويحسبوا الذى هو خالق الكل ، انه من بين مخلوقاته ٠

انهم يستحقون الادانة والتنديد بهم ، أولا ، لانهم بينما هم يلومون الاساقفة الذين اجتمعوا فى نيقية (٦٦) بسبب استخدامهم لعبارات ليست من الكتاب المقدس ـ رغم أنها ليست عبارات مضادة للايمان، بل قد وضعت بهدف فضح كفرهم ، فقد وقعوا هم أنفسهم فى نفس الامر ، أى أنهم نطقوا بعبارات ليست من الكتاب المقدس وابتدعوا اهانات ضد الرب ، « وهم لا يعرفون ما يقولونه ولا ما يقررونه » (١ تيمو ١ : ٧) ٠

---

(٦٦) الاباء الاساقفة الـ ٣١٨ الذين اجتمعوا فى المجمع المسكونى الاول فى نيقيا ، والذى أدان الهرطقة الاريوسية٠

لذلك فليسألوا اذن ، اليونانيين ، الذين سبق ان سمعوا منهم ما قالوه (لانه ليس من الكتب المقدسة بل من اختراعهم) وذلك لكى يسمعوا منهم أيضا ، كم للفظ (غير المخلوق ـ غير الصائر) من معان عديدة ، وعندئذ سيتعلمون أنهم حتى لا يعرفوا أن يسألوا السؤال الصائب ، وذلك حتى بخصوص الاشياء التى يتحدثون عنها ·

لانى أنا أيضا ـ بسببهم ـ قد سألت وعرفت ، (عبارة) « غير المخلوق » (غير الصائر) يقصد بها ذلك الذى لم يصر له وجود ، ولكنه من الممكن أن يصير ، وذلك مثل الخشبة التى لم تكن قد صارت سفينة بعد ولكنها من الممكن أن تصير كذلك · وأيضا فأن « غير المخلوق » (أو غير الصائر) ، هو ذلك الشىء الذى لم يصر بعد ، وليس من الممكن أن يصير أبدا ، مثل المثلث الذى لا يمكن أن يصير مربعا أو العدد الزوجى أن يصير فرديا · ذلك لان المثلث لم يصر قط مربعا ولا يمكن أن يكونه أبدا ، كما لم يحدث قط أن صار العدد الزوجى فرديا ولا يمكن أن يكونه ·

وأيضا يقصد بكلمة « غير الصائر ـ (غير المخلوق) » ما هو موجود ، دون أن يصير من أحد ، وليس له والد بالمرة ·

وقد أضاف أيضا أستيريوس (٦٧) السفسطى الخبيث ، وهو المدافع عن هذه الهرطقة فى مقالته قائلا : بأن غير المخلوق ـ (غير الصائر) ، هو الذى لم يخلق (بضم الياء) ولكنه كائن دائما ·

---

(٦٧) كان اسثيروس مثل أريوس وأوسابيوس النيقوميدى ، تلاميذ لوكيانوس الانطاكى · وقد تبع استيريوس التعاليم الاريوسية وكتب لهم دستور عقيدتهم ، وقد لعب دورا هاما فى نشر الاريوسية بواسطة رحلاته المستمرة التى كان يقوم فيها بالدعاية للاريوسية ·

فكان ينبغى اذن حينما يسألون السؤال ، أن يضيفوا ما المعنى الذى يفهمون به كلمة « غير المخلوق ـ (غير الصائر) » حتى أن الذى يسألونه يستطيع أن يجيب الاجابة الصائبة ·

٣١ ـ ان كانوا يحسبون أنهم يسألون السؤال الصائب ، بقولهم « هل هناك واحد فقط غير مخلوق (غير صائر) أم اثنان ؟ » فانهم أولا سيسمعون الجواب ـ باعتبارهم جهلة ـ . أن الاشياء غير المخلوقة (غير الصائرة) كثيرة ، وليس لها وجود ، كما أن الاشياء التى يمكن ان تخلق (أن تصير) هى أكثر جدا ، وغير الكائن ليس فى امكانه أن يصير كما سبق أن قيل ·

أما ان كانوا يسألون عن نفس الموضوع ، على غرار استيريوس، بأن غير المخلوق (غير الصائر) هو الذى لم يخلق ولكنه كائن دائما ، فليسمعوا لا مرة واحدة بل مرات كثيرة ، بأنه من الممكن أيضا أن يقال عن الابن ، انه غير مخلوق (غير صائر) بحسب هذا المعنى المقبول عندهم ، لانه لا يحسب بين الاشياء المخلوقة ، ولا هو مخلوق بل بالعكس فانه كائن منذ الازل مع الآب ، كما سبق أن اتضح ، وذلك رغم تقلباتهم (أى تقلبات الاريوسيين) الكثيرة،والتى ليس لها من هدف سوى أن يتكلموا ضد الرب قائلين « انه وجد من العدم » ، وأنه « لم يكن موجودا قبل أن يولد » ·

وهكذا فبعد أن خذلوا من كل ناحية ، فانهم أخذوا يسألون أيضا بخصوص ذلك المعنى الذى يكون بمقتضاه « غير المخلوق (غير الصائر) هو ذلك الذى يكون موجودا ، بدون أن يكون مولودا من أحد ، وليس له أب خاص به » فانهم سيسمعون منا أيضا أن المقصود « بغير المخلوق » (غير الصائر) هو بهذا المعنى واحد فقط وهو الآب ولن يحصلوا على أى شىء أكثر مما سمعوه ·

لان القول بأن الله « غير مخلوق » (غير صائر) بهذا المعنى ،

لن يبرهن القول بأن الابن مخلوق (صائر) ، وفقا للبراهين السابقة، اذ يتضح أن الكلمة هو مثل ذاك الذى ولده · وتبعا لذلك ، فان كان الله غير مخلوق (غير صائر) ، فصورته ـ أى كلمته وحكمته ليس بمخلوق بل هو مولود · لانه أى مشابهة هناك بين المخلـوق (الصائر) ، وغير المخلوق (غير الصائر)؟ (لانه ينبغى ألا نكل من تكرار نفس الكلام) ·

فان كانوا يريدون أن يجعلـوا المخلوق مشـابها لغير المخلوق فيكون أن من يرى هـذا كمن يرى ذاك ، فليس بعيدا عليهم اذن أن يقولوا ، أن غير المخلوق هو صورة خلائقة ، وبذلك تكون كل الاشياء قد اختلطت فى اذهـانهم ، وبذلك يساوون بين المخلـوقات وغير المخلوق ، وهذا يعتبر الغاء لغير المخلوق وقياسه بقياس المخلوقات، وكل هذا انما يفعلونه فقط لكى يحطوا من قدر الابن ويحسبونه فى عداد المخلوقات ·

٣٢ ـ ولكنى أظن أنهم لا يرغبون أن يستمروا مداومين على مثل هذه الاقوال ، ان كانوا حقا يشايعون أستيريوس السوفسطائى · فانه رغم اهتمـامه بالدفاع عن الهـرطقة الاريوسية بقوله ان غير المخلوق (غير الصائر) هو واحد ، فانه يناقضها مؤكدا أن حكمة الله أيضا غير مخلوق وليس له بداية وهاك بعض المقاطع مما كتبه: « لم يقل المغبوط بولس أنه كرز بالمسيـح على أنه القـوة التى لله والحكمة التى لله (٦٨) ولكنه بدون استعمال أداة تعريف قال ، قوة الله وحكمة الله ، وهكذا كرز بأن قوة الله الذاتية ، التى هى من طبيعته ، والكائنة معه أزليا ، انما هى قوة أخرى » · وبعد قليـل أيضا يقول « ولكن قوته الازلية وحكمته التى يوضح منطق الحق

---

(٦٨) اللغة اليونانية تستعمل أداة التعريف قبل المضاف وقبل المضاف اليه والمقصود « قوة الله وحكمة الله » (المعرب) ·

أنها حقا بلا بداية وغير مخلوقة (غير صائرة) ، انما هى واحـدة بالتأكيد » · لانه وان كان لم يفهم كلمات الرسول فهما سليما بظنـه أن هناك حكمتان ، ولكنه مع ذلك بقبوله القول بحكمة مشاركة معه فى الوجود دائما ، فهو يقول أن غير المخلوق (غير الصائر) ليس واحدا بعد ، بل أن هناك غير مخلوق (غير صائر) آخر معـه · لان المشارك (بكسر الراء) فى الوجود لا يتشارك فى الوجود مع نفسه بل مع آخر · ولذلك فليكف أولئك المشايعون لاستيريوس عن التساؤل : « هل غير المخلوق (غير الصائر) واحد أم اثنان؟ » والا فانهم سيصطدمون به فى هذا الامر ويرتابون فيه ·

ومن الناحية الاخـرى ، فان كانوا يقاومونه فى ذلك أيضا ، فليكفوا عن الاعتماد على كتابه ، لئلا ينهشوا بعضهم بعضا ويفنوا بعضهم بعضا ·

هذا هو ما قالوه بسبب جهالتهم ، وماذا يستطيع أى شخص أن يقـول ازاء مكرهم هـذا ؟ ومن هو الذى لن يكره بحق أولئـك المتهوسين الى هـذه الدرجة ؟·

فما داموا لا يتجاسرون أن يقولوا صراحة « انه من العدم » ، وانه « لم يكن موجودا قبل أن يولد » ، لذلك اخترعوا لانفسهم عبارة « غير مخلوق » (غير صائر) ، لكى يقولهم عن الابن انه «مخلوق» (صائر) ، وسط السذج البسطاء ، فانهم يقصدون نفس تعبيراتهم السابقة تلك وهى « انه من العدم » وانه « لم يكن موجودا قط قبل أن يولد » · لانهم يعنون بهذه العبارات «الاشياء الصائرة والمخلوقة»

٣٣ ـ فلو كانت لديهم الثقة فى ما يقولونه ، لكان من الواجب عليهم أن يظلوا ثابتين على موقفهم ، ولا يتغيرون بطرق متنوعة ، ولكنهم يرفضون ذلك ، ظانين انه يمكنهم ان ينجحوا بسهولة ، اذا هم اخفوا هرطقتهم تحت ستار كلمة « غير المخلوق » (غير الصائر)·

وفى الواقع فان لفظة « غير المخلوق » هذه ، لا تستعمل (عن الله) بالنسبة الى الابن ـ ولو انهم يتذمرون ـ بل بالنسبة الى المخلوقات، وهكذا يمكن أن نرى نفس الشىء فى كلمة « ضابط الكل » ، وكلمة « رب القوات » فلو أن الآب يضبط ويسود كل الاشياء من خلال الكلمة ، والابن يملك مملكة الآب وتكون له السيادة على الكل ، حيث انه هو كلمة الآب وصورته ، فيكون واضحا اذن أن الابن لا يحسب من بين الكل ، ولا يسمى الله « ضابط الكل » « والرب » بالنسبة الى الابن ، بل بالنسبة الى المخلوقات التى (تكونت) عن طريق الابن ، وهى تلك التى يضبطها ويسودها بواسطة الكلمة · وهكذا فان لفظة « غير المخلوق » لا تستعمل (عن الله) بالنسبة الى الابن ولكن بالنسبة الى المخلوقات التى هى عن طريق الابن ، وان هذا لصواب ، حيث أنه ليس مثل المخلوقات ، بل هو خالقها وصانعها بواسطة (من خلال) الابن · كما أن لفظة « غير المخلوق » تستعمل (عن الله) بالنسبة الى المخلوقات ، هكذا أيضا فان كلمة «الآب» تعلن عن الابن · فان من يسمى الله صانعا وخالقا وغير مخلوق ، فانه يرى ويفهم الاشياء المخلوقة والمصنوعة ، أما الذى يسمى الله أبا فأنه فى الحال يدرك الابن ويعرفه · ولذلك فقد يدهش البعض من حبهم للجدال مع عدم تقواهم ، لانه بالرغم من أن لكلمة « غير المخلوق » معنى حسن ـ سبق أن أشرنا اليه ـ بحيث يمكن أن نذكر هذه الكلمة بورع وتقوى ، أما هم فيتكلمون بها لاجل اهانة الابن بحسب هرطقتهم ، وهم لم يقرأوا ، أن الذى يكرم الابن ، انما هو يكرم الآب ، والذى لا يكرم الابن ، انما هو لا يكرم الآب (يو ٥:٢٣) لانهم لو كان لديهم أى اهتمام ـ على وجه العموم ـ بتمجيد وتكريم الآب ، لكان من واجبهم بالاحرى ، أن يعترفوا بأن الله أب ويلقبونه كذلك ، بدلا من أن يسمونه بهذه الطريقة (أى غير المخلوق) ، وكان هذا سيكون أفضل وأعظم ·

أما أن يسموا الله « غير المخلوق » ، متخذين هذه التسمية من اعماله المخلوقة ، كما سبق أن قلنا ـ وهكذا يلقبونه خالقا وصانعا فقط ، ظانين انهم بهذا يستطيعون أن يعتبروا « الكلمة » مخلوقا حسب أهوائهم · أما الذى يدعو الله أبا ، فانه يسميه هكذا نسبة الى الابن، بدون أن ينكر أنه ما دام يوجد ابن ، فبالضرورة فان كل المخلوقات قد خلقت عن طـريق الابن · وأولئـك عنـدما يسمون الله « غيـر المخلوق » فانما يشيرون اليه فقط من جهة نسبته الى المخلوقات ، وهم بذلك لا يعرفون الابن مثلهم مثل الامميين ·أما الذى يدعو الله أبا ، فانه يسميه هكذا نسبة الى « الكلمة » ، والذى يعرف « الكلمة ». فانه فى نفس الوقت يعرف أنه الخالق ، ويفهم أنه كل شىء به قد كان (قد صار) (يو ١ : ٣) ·

٣٤ ـ لذلك فانه بالحق سيكون أكثر تقوى ، لو أنهم أشاروا الى الله مبتدئين من الابن ، وهكذا يلقبونه أبا ، بدلا من أن يسمونه نسبة الى أعماله فقط فيلقبونه « غير المخلوق » · لان هـذا اللقب (الاخير) يشير فقط الى كل خليقة ـ كما سبق أن قلت ـ وعموما فان هذا اللقب يشير الى كل الاعمال التى خلقت بارادة الله من خلال الكلمة · فى حين أن لقب الآب يفهم وله دلالته فقط بالنسبة الى الابن · وبقدر مايختلف الكلمةعن سائر الموجودات،فبمثل هذا القدر بلوأكثر، يكون الاختـلاف بين أن يدعى الله « أبا » ، وبين أن يدعى « غيـر المخلوق » · لان هذا اللقب (الاخير) غير مستقى من الكتب المقدسة، بل ويثير الريبة والشك ، لانه يحوى فى الواقـع معـان متعددة ، لدرجة انه فى حالة التساؤل عن هذا اللقب ، فان الفكر ينتابه الحيرة والاضطراب ، اما لقب « الآب » فهو لقب بسيط مستقى من الـكتاب

المقدس ، وهو لقب أكثر صوابا وحقا ، وهــو يشير الى « الابن » فقــط ٠

أما لقب « غير المخلــوق » فهــو كلمة موجودة عنــد اليونانيين (الامميين) الذين لم يكونوا يعرفون « الابن » ٠ أما لقب « الآب » فقد صــار معروفا اذ قد انعم به الرب (يسوع) علينا ٠ لانه قد عرف ــ في الواقع ــ ابن من هو ، عندما قال « انا فى الآب والآبفى (يو ١٤ : ١٠) وأيضا « من رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) وأيضا « انا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ٠ ولا يوجد فى أحــد هذه الشواهد أى اشارة بتلقيب الآب بلقب « غير المخلوق » بل حين علمنا أن نصلى ، لم يقــل حينما تصلون قولوا : أيهــا الاله غير المخلــوق ، بل بالحــرى قال « حينما تصلون قولوا أبانا الذى فى السموات » (مت ٦:٩) وهو بهذا قد أراد ان يركزعلى اساسايماننا عندما أمرنا أن تكون معموديتنا ليس باسم « غير المخلوق » والمخلوق ولا باسم « الخالق » و « المخلوق » بل باسم « الآب والابن والــروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) لاننا واذ نحن من بين المخلوقات ، نصير هكذا مكتملين وبهذا نصير أبناء ٠ واذ ندعو اسم الآب ، فاننا منهذا (الاسم) نعرف أيضا الــكلمة الذى هو من ذات الآب ٠ اذن فما يجادلون به بخصوص لفظة « غير المخلوق » ، انما يدل على عبث، وليس هو أكثر مما هو فى خيالهم وحده ٠

الفصل العـاشر :

عــدم تغــير الابن

٣٥ ـ أما بخصوص قولهم أن الكلمة متغير ، فان مناقشــة هذا الامر غير ذات نفع ، لانه يكفى فقــط أن أسجل ما يقولونه ، لتوضيح مدى جسارتهم وعدم تقواهم · فها هى الاقوال التى يهذون ويثرثرون بهــا متسائلين : « هــل هو حر (فى ذاته) أم هو ليس كذلك ؟ هل هو صالح من تلقاء نفسه بحسب هذه الحرية الذاتية ، وهل يستطيع بذلك أن يتغير ـ ان أراد ـ لكونه من طبيعة متغيرة ، أم انه مثل الحجر والخشب ، لا يملك حرية الحركة والاتجاه الى هذه الناحية أو تلك ؟ » فليس غريبا على هرطقتهم أن يتكلموا ويفكروا بمثل هذه الامور · ففى احدى المرات اخترعوا لانفسهم الهــا من العدم ، وابنا مخلوقا ، وتبعا لذلك جمعوا لانفسهم مثل هذه الاقوال التى تناسب المخلوقات · وحيث انهم فى مجادلتهم مع رجال الكنيسة يستمعون منهم عن كلمة الآب الوحيد الحقيقى ، ومع ذلك يتجاسرون ان يتفوهوا عنه بمثل تلك الاقوال ، فمن يستطيع اذن أن يرى أدنس من هــذه العقيدة ؟ ·

ومن هو الذى بمجرد استماعه لهؤلاء ، لا ينزعج ويصم آذانه ـ حتى ان لم يكن فى وسعه أن يدحض أقوالهم ـ ويقف مشدوهــا من تلك الاقوال التى يرددها هؤلاء ، وهو يستمع الىكلماتهم المبتدعة، التى يعتبر مجرد النطق بها كفرا وتجديفا ؟لانه ان كان الكلمة متغيرا وقابلا للتحول ، ففى أى نقطة اذن سيتوقف (عن التغيير) ، وماذا

ستكون نهـاية عملية تطوره هـذه ؟ وكيف يمكن أن يكون المتغير مشابها لغير المتغير ؟ وكيف يمكن أن يعتبر الذى رأى المتغير أنه قد رأى غير المتغير ؟ وما هى الحـالة التى يجب أن يصير اليهـا حتى يستطيع الواحد منا أن يرى الآب فيه ؟

اذ يكون من الجلى (حسب أفكارهم) أننا لن نرى الآب فيه فى كل الاوقات ، اذ يكون الابن دائم التغير ، ويكون من طبيعة متغيرة دائما · ولان الآب غير متغير وغير متحول ، وهو دائما هو نفسـه كذلك (أى بدون تغير) ، أما الابن فان يكن بحسب أفكارهم متغيرا، وهو ليس دائما هو ذاته ، بل تكون له طبيعـة دائمة التغير ، كيف يمكن أن يكون مثل هذا هو صورة الآب ، وهو ليس مثله فى عـدم التغير · ؟ وكيف يمكن أن يكون (الابن) فى الآب كلية ، ان كان هدفه وقصده مشكوكا فيـه ؟ بل ربما بسبب كونه متغيرا ، ودائم التقدم ، فلا يكون كاملا بعـد ·

ولكن فليتلاشى مثل هذا الجنون الذى للأريوسيين ، أما الحق فليلمع ويبرق ليكشف أنهم مجانين ·

لانه كيف لا يكون كاملا هذا الذى هو مساو لله ؟ أو كيف لايكون غير متغير هذا الذى هو واحد مع الآب ، وهو نفسه ابنه من ذات جوهره ؟ ولان جـوهر الآب غير متغير ، فبالضرورة يكون نتاجـه الذاتى أيضا غير متغير ·

فان كانوا يفترون هكذا بنسبتهم التغير للكلمة ، فليتعلموا مدى الخطـورة الكامنة فى فكرهم ، لان « الشجرة تعـرف من ثمرها » (متى ١٢ : ٣٣) ، ولهذا أيضا « فان من قد رأى الابن فقد رأى الآب » (يو١٤ : ٩) ، ولهذا أيضا فان معـرفة الابن هى أيضا معرفة الآب ·

٣٦ ـ ولذلك فان صورة الله غير المتغيرة ينبغى أن تكون ثابتة غير متغيرة ، لان « يسوع المسيح هو هو أمس واليوم والى الابد » (عب ١٣ : ٨) · وداود يقول مترنما به : « أنت يارب منذ البدء أسست الارض ، والسموات هى عمل يديك · هى ستتلاشى وأنت ستبقى ، وكلها كثوب ستبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تنتهى » (مز ١٠٢:٢٦ ـ ٢٨ ، و ٢ عب ١ : ١٠ـ١٢)·

والرب نفسه يقول عن نفسه بواسطة النبى « أنظروا الى فترون انى أنا هو » (تث ٣٢ : ٣٩) وأيضا « لا أتغير » (ملاخى ٣:٦) وربما يقول أحد أن المقصود هنا هو الآب ، ولكنه يناسب أن يطلق هذا على الابن أيضا ، وخاصة لانه حينما يصير انسانا ، فانه يظهر شخصيته كما هى ويظهر عدم تغيره ، وذلك بالنسبة لاولئك الذين يتصورون أنه بما أنه اتخذ جسدا فانه قد تغير وصار آخرا ·

ان القديسين أصدق عهدا وأمانة من سوء نية عديمى التقوى، فكم بالاحرى يكون الرب · فان الكتاب ـ كما جاء فى قراءة المزمور سالف الذكر ـ عن طريق اشارته الى السماء والارض ، يذكر أن طبيعة كل المخلوقات وكل الكائنات ، هى متغيرة ومتحولة،وباستبعاده الابن عنها (المخلوقات) ، فانه يبين بأنه (أى الابن) ليس مخلوقا على الاطلاق بل هو بالاحرى يغير الاشياء ، بينما هو نفسه لايتغير، كما يعلم (الكتاب) بقوله « أنت أنت وسنوك لن تنتهى » (عب ١ : ١٢) أنه (أى الابن) لا يتبدل ولا يتغير · وهذا حقا أمر طبيعى ، لان الاشياء المخلوقة بما أنها نشأت من العدم ، ولكونها لم تكن كائنة قبل أن تخلق ، لذلك فان لها طبيعة متغيرة حيث أنها

عموما قد خلقت من العدم · أما الابن فانه كائن من الآب وهو من ذات جوهر الآب ، لذلك فهو غير متغير أو متبدل مثل الآب نفسه · لانه ليس من العدل أن يقول أحد أن من جوهر غير المتغير يولد كلمة متغير ، وحكمة قابلة للتحول · اذ كيف يمكن أن يكون هو الكلمة ان يكن قابلا للتغير ؟ ، أو كيف يمكن أن تكون حكمة تلكالتى تكون قابلة للتحول ؟ الا اذا كان عرضا فى الجوهر ـ كما ربما يريدون ان يبينوا انه هكذا : أى انه فى حالة جوهر ما ، تكون هناك نعمة ما أو ممارسة فضيلة بشكل عارض ، وهكذا يسمون هذا أنه كلمة وابن وحكمة بحيث يكون قابلا للانتقاص منه أو الاضافة عليه ، لانهم يعتقدون بمثل هذه الامور ، وكثيرا ما تحدثوا عنها · الا أن عقيتهم هذه ليست من الايمان المسيحى ، لانهم لا يظهرون أنه الكلمة وابن الله بالحقيقة ، ولا (يظهرون) أن الحكمة هى حكمة حقيقية · لان ما يتحول ويتبدل وليس ثابتا على نفس الحال الواحد . كيف يمكن أن يكون حقيقيا ؟ ·

بينما يقول الرب « أنا هو الحق » (يو ١٤ : ٦) ،فان كان الرب نفسه يقول هذا القول عن ذاته وهو يشير بهذا الى وجوب عدم قابليته الذاتية للتغير ، والقديسون تعلموا نفس هذه الحقيقة وشهدوا بها · فان كانت الافكار عن الله تعرف هذا الامر بورع وتقوى فمن أين اذن ابتدع هؤلاء الناس عديمو التقوى ، هذه الآراء؟ نعم ، انهم من قلوبهم ، يتقيأون هذا الفساد ·

الفصل الحادى عشر :

شرح نصوص : أولا : فيليبى ٢ : ٩ ، ١٠
« لذلك رفعــه الله أيضا »

٣٧ ـ لكن بما أنهم يتعللون بالاقوال الالهية ، ويفرضون عليها تفسيرا منحرفا محرفين اياها بحسب فكرهم الخاص ، لذلك صـار من الضرورى أن نرد عليهم من أجل أن نثبت صحة الاقوال الالهية، ونوضح أنهـا تحوى الفكر المستقيم ، بينما أولئك يفكرون تفكيرا ضــالا ٠

فهم اذن يقولون أن الرسول كتب يقول « لذلك مجده الله مجدا عاليا ، وأعطاه اسما فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما فى السماء وعلى الارض وتحت الارض » (فى ٢ : ٩ ، ١٠)٠ كما يقول داود « من أجل ذلك مسحك الله الهك ، بزيت الابتهاج أكثر من شركائك » (مز ٤٥ : ٧ ، عب ١ : ٩) ٠ ويضيفون كمـا لو كانوا يقولون شيئا حكيما ـ هكذا « لو أنه « لذلك » مجد (بضم الميم وكسر وتشديد الجيم) وحصل على نعمة ، « ومن أجلذلك » قد مسح وحصل على أجر اختياره الحر ، وبما انه أنجز الامر بمشيئته الحرة ، فانه يكون بلا شك ذا طبيعــة متغيرة ٠ وهذا ما تجـاسر أوسيبيوس وأريوس ليس فقط على قوله بل على كتابته أيضا ٠ أما من يشايعونهما فانهم لا يجفلون عن ترديد ذلك وسط السوق وهم لا يرون قدر الجنون الذى يحويه قولهم ٠

لانه ان حصل على ما كان لديه كأجر لاختياره الحر ، فأنه لم يكن ليحصل عليه لو لم يكن عمله هذا عن احتياج وعوز ،اذن بما انه قد حصل على ما كان لديه بسبب فضيلته وتقدمهوتحسنه،وبسبب هذا فمن الانصاف أن يلقب بلقب ابن ولقب اله ، دون أن يكون ابنا

حقيقيا · لان الذى يكون من شخص ما بحسب الطبيعة ، فانه يكون مولـودا حقيقيا ، مثلما كان اسحق بالنسبـة لابراهيم ، ويوسف بالنسبة ليعقوب ، والشعاع بالنسبة الى الشمس ، اما الذين يدعون (ابناء) بالنسبة للفضيلة والنعمة ، فانهم يحصلون على النعمـة التى يكتسبونها بدلا من الولادة الطبيعيـة ، وهم شىء آخر غير ما أعطى لهم · وذلك مثل الناس الذين نالوا الروح بحسب المشاركة والذين قال عنهم « ولدت بنين ونشأتهم ، أما هم فتمردوا على » (أش ١ : ٢ سبعينية) ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة. لذلك ، فانهم بمجرد أن يتغيروا ينزع منهم الروح ، ويتبرأ منهم · ولكنهم مرة أخرى ـ عندما يتوبون فانه الله الذى كان قد أعطاهم النعمة فى الاول ، فانه بنفس الطريقة ، يعطيهم النور مرة أخرى ، ويدعوهم أبناء ثانية ·

٣٨ ـ فان كانوا يقولون هكذا أيضا عن المخلص ، فيتبـع هذا انه لا يكون (مخلصا) حقيقيا ، وأنه ليس الها ، وليس ابنا ، ولا هو مثـل الآب ، ولا يكون له علاقة على الاطـلاق مع الله الآب بحسب الجوهر بل بمجرداعطاء نعمة له · أىأن يكون الله هوخالق له بحسب الجوهر مشابها فى ذلك كل المخلوقات · فان كان هو هكذا ، كمـا يقول هؤلاء ، فسيتضح انه لم يكن له اسم « ابن » منذ البدء ، ان كان قد حصل على هذا الاسم كمكافأة على اعماله وتقدمه ، أى انه حصل على هذه المكافأة ليس بسبب تقدم آخر ، بل بسبب ما أظهره عندما صار انسانا ، واتخذ صورة عبد ، لانه عندئذ ، حينما صار « مطيعا حتى الموت » فانه كما يقول النص « مجده مجدا عاليا ، وحصل على الاسم كنعمة ، « لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة » ·

فماذا اذن كان قبل هذا (أى قبل أن يصير انسانا) ، ان كان الآن يرتفع ، وقد بدأ الآن أن يعبد ، والآن دعى ابنـا عندما صار انسانا ؟ لانه (بهذا) يبدو أن الجسد لم يترق (بفتح القاف)قط ، بل بالاحرى انه هو الذى ترقى بواسطة الجسد · فان كان قد مجد

مجدا عاليا وسمى ابنا عندما صار انسانا ـ وذلك بحسب سوء نيتهم ـ فماذا كان اذن قبل هذا ؟ ـ فهناك حاجة ملحة أن نسألهم مرة أخرى ـ وذلك لكى تتضح النتيجة التى يصل اليها كفرهم · لانه ان كان الرب هو الله وهو الابن وهو الكلمة ، ولكنه لم يكن هكذا قبل أن يصير انسانا ، عندئذ كما قلنا ـ اما أنه كان شيئا آخر غير هذه (الصفات) ، ثم اشترك فيها بعد ذلك بسبب فضيلته ، والا فانهم مضطرون أن يقولوا البديل ـ (الامر الاخر) الذى سيرتد على رؤوسهم وهو أنه لم يكن موجودا قبل هذا ، ولكنه كان انسانا بالتمام حسب الطبيعة وليس أكثر · ولكن هذا الفكر ليس من الكنيسة، ولكنه فكر الساموساطى واليهود المعاصرين ·

لماذا اذن ، وهم يعتقدون مثل اليهود ، لا يختتنون مثلهم ، بل يتظاهرون بالمسيحية ، بينما هم يحاربونها · لانه لو كان غير موجود ، أو لو كن موجودا ثم رقى فيما بعد ، فكيف خلقت كل الاشياء بواسطته ، وكيف يفرح به الآب لو لم يكن كاملا (أم٩:٣٠) ومن الناحية الاخرى ، ان كان هو قد ترقى الآن ، فكيف كان يبتهج أمام الآب قبل أن يترقى · وان كان قد حصل على العبادة بعد موته، فكيف يظهر أن ابراهيم يسجد له فى الخيمة ، وموسى يسجد له فى العليقة وكما رى دانيال « ربوات ربوات وألوف ألوف ، يخدمونه » (دانيال ٧ : ١٠) · وان كان ـ كما يقولون ـ قد حصل على الترقى الآن ، فكيف يشير الابن نفسه الى مجده الذاتى الذى يفوق الطبيعة والذى كان له قبل انشاء العالم عندما قال « مجدنى أنت أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » (يو١٧:٥) · وان كان ـ حسبما يقولون ـ ـ قد مجد الآن مجدا عاليا ، فكيف « طأطأ السموات » ونزل قبل ذلك ، وأيضا « أعطى العلى صوته » (مز ١٨ : ٩ ، ١٣) لذلك فان كان للابن ذلك المجد حتى قبل خلقة العالم ، وكان هو رب المجد وهو العلى ، ونزل من السماء وهو

معبود على الدوام ، فينتج من ذلك انه لم يترق بنزوله ، بل بالاحرى هو نفسه الذى رقى الاشياء التى يعوزها الترقى · وان كان قد نزل من أجل ترقيتها ، لذلك فانه لم يحصل على اسم ابن واله كمكافأة . بل بالاحرى فانه هو نفســه جعلنا أبناء للآب واله (بتشديد اللام) الناس بكونه صار هوانسانا ·

٣٩ ـ لذلك ، فهو لم يكن انسانا ثم صار فيما بعد الها ،بل كان الها وفيما بعد صار انسانا بالاحرى كى يؤلهنا · لانه ان كان عنــدما صار انســانا قد سمى عنــدئذ ابنا والهــا ، وان كان الله قد دعا الشعوب قديما ، أبناء ، وذلك قبل أن يصير هو انسانا ، وجعل الله موسى الها لفرعون · [والكتاب المقدس يقــول فى مواضع كثيرة « الله قائم فى مجمع الآلهة (مز ٨٢ : ١)] · فمن الواضح اذن انه قد دعى ابنا والها بعــدهم · فكيف اذن خلقت كل الاشياء عن طريقه ، وكيف أنه هو موجود قبل كل الاشياء ؟ أو كيف يكون هو « بكر كل خليقة » (كو ١ : ١٥) ، ما دام هناك آخرون قبله يطلق عليهم أبنــاء وآلهــة ؟ ·

وهؤلاء المشــاركون الاولون كيف لا يشاركون اللوغوس ؟ وهــذا التعليم ليس حقيقيا ، بل هو بدعة المتهودين المعاصرين · فكيف اذن فى هذه الحالة ـ يمكن لاى أحد على الاطلاق ، أن يتعرف على الله كأب ؟ لان من غير المستطاع أن يحدث التبنى بغير الابن الحقيقى ، وهو نفسه القائل : « لا يعرف أحد الآب الا الابن ، ومن سيعلن له الابن » (متى ١١ : ٢٧) ·

وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس ، وقبله · ؟ هذا بالرغم انه هو نفسه القائل لليهود اخوة هؤلاء المبتدعين ، « ان قال ، الهة، لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله » ·

فان كان كل الذين دعــوا ابناء وآلهــة ســواء على الارض أم فى

السموات قد نالوا التبنى وصاروا متألهين من خلال اللوغوس ، وان كان الابن نفسه هو اللوغوس ، فمن الجلى ان الجميع قد صاروا ابناء من خلاله ، وكان هو قبل الجميع ·· وبالحرى فقد كان هـو الابن الحقيقى وحده · وهو وحده اله حق من اله حق ـ ولم يحصل على هذه (الصفات) كمكافأة لفضيلته ، وليس هو آخر غير هـذه (الصفات) بل هو كل هـذه (الصفات) بحسب الطبيعـة وبحسب الجوهر ، لانه مولود من جوهر الآب حتى لا يشك أحد أنه ، بحسب صورة الآب غير المتغير ، يكون اللوغوس أيضا غير متغير ·

٤٠ ـ ونحن الى الآن ، قد استعملنا أفكارا حقيقية عن الابن للاجابة على ابتداعاتهم غير المعقولة · ولكن يجمل بنا الآن اذن أن نستشهد بالاقوال الالهية لكى نبرهن أيضا بدرجة أكثر كثيرا على عدم تغير الابن وعدم تغير طبيعته الابوية (٦٩) الثابتة ، كما يتبرهن أيضا مدى انحرافهم وضلالهم ·

واذن عندما كتب الرسول الى أهل فيلبى يقول : « فليكن فيكم هذا الفكر الذى هو أيضا فى المسيح يسوع ، الذى اذ كان موجودا فى صورة الله ، لم يحسب خلسة ان يكون مساويا لله ، لكنه أخلى نفسه ، آخذا صورة عبد ، صائرا فى شبه الناس · وهو اذ وجـد فى الهيئة كانسان ، أذل (وضع) نفسه · وأطاع حتى الموت،موت الصليب · لذلك فان الله مجده ورفعه (شدة على الفاء) عاليـا أيضا ، وأعطاه اسما فوق كل اسم · لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ، ومن على الارض ، ومن تحت الارض ، وسيعترف كل لسـان أن يسـوع المسـيح هـو رب لمجـد اللـه الآب » (فيلبى ٢ : ٥ ـ ١١) أية أقوال أوضـح وأكثر بيانا من هـذه الاقوال ؟ · ان الرب لم يكن أصلا فى حـالة وضيعة ثم رقى ، بل

---

(٦٩) أى التى من الآب (المعرب) ·

بالاحرى اذ كان الها فقد اتخذ صورة عبد ، وباتخاذه صورة العبد، لم يرتق (بكسر القاف) بل أذل (وضع) نفسه · اذن فأين هو أجز الفضيلة فى هذه الامور ؟ ، أو أى تقدم أو ترقى يمكن أن يكون فى الاذلال · ؟ لانه ان كان وهو الاله ، قد صار انسانا ، وبتنازله من علوه لا يزال يقال انه يرفع (شدة على الراء) (أى يمجد مجـدا عاليا) · فمن أين يرفع وهو الله ؟ · ويتضح من هذا أيضا ، أنه بما أن الله هو الاعلى والاكثر رفعة من الكل ، فبالضرورة أيضا ، أن يكون كلمته هو الاعلى والاكثر رفعة فوق الكل · وهذا الذى هو فى الآب ومثل الآب فى كل شىء ، من أين اذن يمكنه أن يرفع عاليا أكثر من ذلك ؟ اذن فهو ليس فى حاجة الى أى أزدياد ، وليس الامر كما يفهمه الاريوسيون · لانه وان كان اللوغوس قد نزل من أجـل أن يرفع عاليا ـ وهكذا هو مكتوب ـ فأية حاجة كانت هنـاك على الاطلاق تدفعه لان يذل نفسه ، لكى يسعى للحصول على ذلك الشىء الذى كان لديه أصلا ؟ · وما هى النعمة التى ينالها واهب النعمة ؟ أو كيف نال هو الاسم للعبادة وهو الذى كان دائما معبودا باسمه؟· ومن قبل أن يصير هو انسانا ، كان القديسون حينئذ يتوسلون اليه قائلين « خلصنى يا الله باسمك » (مز ٥٤ : ١) وأيضا « البعض يفتخر بالمركبات ، والبعض الآخر بالخيل وأما نحن فباسم الرب الهنا سنتمجد » (مز ٢٠ : ٧) · وهـو الذى كان يسجـد له البطاركة (رؤساء الآباء) ، اذ قد كتب عن الملائكة « ولتسجد له كل ملائكة الله » (مز ٩٧ : ٧ ، عب ١ : ٦) ·

٤١ ـ فان كان داود ينشد فى المزمور الحادى والسبعين قائلا: « اسمه دائم قبل الشمس » ، وأيضا : « وقبل القمر الى أبد الآبدين (٧٠)

---

(٧٠) مز ٧١ فى الترجمة السبعينية ويقابل مز ٧٢ : ١٧ ، مز ٧٢ : ٥) ·

فكيف اذن ينال ما كان له دائما حتى قبل أن يحصل عليه الآن (أى فى الجسد) ؟ أو كيف يرفع (شدة على الراء) مع كونه قبل ترفيعه (أو تمجيده) كان هو العالى (فوق الكل) ؟ أو كيف حصل على (حق) العبادة ، وهو الذى كان دائما معبودا من قبل أن يحصل على هذا الحق الآن ؟ · اذن فهذا ليس بلغز بل هو سر الهى · « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) وهو لاجلنا فيما بعد « الكلمة صار جسدا » (يو ١ : ١٤) وعبارة « رفعه » (مجده مجدا عاليا) التى نتحدث عنها الآن ، لا تعنى ان جوهر الكلمة قد ارتفع ، لانه كان دائما ،وهو لا يزال كائن فى الله ، ولكنه يعنى ارتفاع (أو ترفع) بشريته · اذن فهذه الاقوال لم تكن تقال من قبل الا عند ما صار الكلمة جسدا · لكى يصير واضحا أن « أذل نفسه » ، « وتمجد مجدا عاليا » انما تشير الى انسانيته ، لانه حيثما تكون هناك حالة الاذلال تكون هناك الرفعة أيضا · ان كان بسبب اتخاذه للجسد قد كتب الاذلال عنه ، فمن الواضح أن التمجيد (أو الرفعة) تقال عنه بسبب الجسد · لان الانسان كان فى مسيس الحاجة الى هذا (التمجيد) ، بسبب وضاعة الجسد ، وبسبب الموت ·

وبما أن الكلمة وهو صورة الآب ، وهو غير مائت ، قد اتخذ صورة عبد ، وكانسان عانى الموت بجسده من أجلنا ، لكى بذلك يبذل نفسه للآب بالموت من أجلنا لاجل هذا السبب يقال عنه انه كانسان مجد (ضمه على الميم) أيضا نيابة عنا ومن أجلنا ، لكى كما بموته قد متنا جميعا فى المسيح ، وعلى نفس المنوال أيضا ، فاننا فى المسيح نفسه أيضا قد مجدنا مجدا عاليا ، مقامين من بين الاموات، وصاعدين الى السموات « حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا » (عب ٦ : ٢٠) ، « لا الى أقداس أشباه الحقيقة ، بل الى السماء عينها

ليظهر الآن أمام وجه الله لاجلنا » (عب ٩ : ٢٤) · فان كان المسيح قد دخل الآن الى السماء عينها لاجلنا ، رغم أنه من قبل هذا الحدث ، كان هو دائما الرب وخالق السماوات · فتبعا لذلك تكون هذه الرفعة الحالية قد كتبت أيضا من أجلنا نحن ·

وكما انه وهو الذى يقدس الجميع ، يقول أيضا انه يقدس نفسه للآب من أجلنا ـ ليس بالطبع لكى يكون اللوغوس مقدسا ـ بل لكى بتقديس ذاته يقدسنا جميعا فى ذاته · وهـكذا بنفس المعنى ينبغى أن نفهم ما يقال الآن انه « تمجد » ، ليس لكى يمجد هو نفسه (أى اللوغوس) ـ اذ أنه هو الاعلى ـ بل لكى هو ذاته « يصير برا » من أجلنا ، أما نحن فلكى نتمجد (نرفع) فيه ولندخل الى أبواب السماء، التى قد فتحها هو ذاته من أجلنا ، حيث يقول السابقون « ارفعـوا أيها الرؤساء أبوابكم ، وارتفعى أيتها الابواب الدهرية ليدخل ملك المجد » (مز ٢٤ : ٧) · وهنا أيضا لم تكن الابواب مغلقة أمامه هو اذ هو رب وخالق كل الاشياء ، بل بسببنا كتب هذا الكلام ، نحن الذين أغلقت أمامنا أبواب الفردوس ·

لذلك يقال عنه من الناحية البشرية ، بسبب الجسد الذى كان قد لبسه : « ارفعوا الابواب » ، كما يقال أيضا ، « ليدخل » كما لو كان انسانا سيدخل ، ولكن من الناحية الالهية ـ حيث أن « اللوغوس هو الله » ـ يقال عنه أيضا انه « الرب » و « ملك المجد » وقد سبق الروح فقال فى المزمور التاسع والثمانين عن مثل هذه الرفعة التى صارت الينا « وببرك يرتفعون ، لانك أنت هو فخر قوتهم » (مز ٨٩ : ١٧ ، ١٨) ، فان كان الابن هو البر ، اذن فهو لم يرتفـع بذاته كمـا لو كان فى حاجة الى الرفعـة ، بل نحن الذين ارتفعنا (تمجدنا) بسبب البر الذى هو (المسيح) ذاته ·

٤٢ ـ وهكذا أيضا فان عبارة « أعطاه اسما » لم تكتب لاجل اللوغوس ذاته ـ فانه حتى قبل أن يصير انسانا فقد كان معبودا أيضا من الملائكة ومن كل الخليقة ، بحسب ذاتيته الابوية (٧١) بل كتبت هذه العبارة عنه بسببنا ولاجلنا · لانه كما مات المسيح ثم رفع (شدة على الفاء) كانسان ، فبالمثل قيل عنه أنه أخذ كأنسان ما كان له دائما كالله ، وذلك لكى تصل الينا عطية مثل هـذه النعمة · فان اللوغوس لم يحط قدره باتخاذه جسدا حتى يسعى للحصول على نعمه أيضا ، بل بالاحـرى فان الجسـد الذى لبسـه قد تأله ، بل وأكثر من ذلك ، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر ، بدرجة أكثر ·

فكما انه كان يعبد (ضمه على الياء) دائما لكونه اللوغوس « الموجود فى صورة الله » ـ هكذا ظل هو نفسه كما هو وصـار انسانا ودعى يسوع ـ فليس أقل من ان كل الخليقة ـ تظل كما كانت دائما ـ تحت قدميه ، وهى التى تجثو بركبها له بهذا الاسم (يسوع)· وتعترف أن اللوغوس صار جسدا ، وانه احتمل الموت بجسده · ولم يحدث له كل هذا كاهانة لمجد ألوهيته بل « لمجد الله الآب» ·

لان مجد الله الآب هو : أن يوجد الانسان الذى كان قد خلق ثم هلك ، وهو : أن يحيا الذى مات ، وهو : أن يصير الانسان هيكل الله· ولان القوات السمائية من ملائكة ورؤساء ملائكة كانت تعبده دائما ، فانهم الآن أيضا يسجدون للرب باسم يسوع ، فهـذه النعمة وهـذا التمجيد العـالى انما هو لنا ، وأنه بالرغم من أنه صـار انسـانا وهو ابن الله فانه يعبـد (ضمه على اليـاء) · لذلك لن تدهش القوات السمائية حينما ترانا نحن جميعا ـ المتحـدين معـه فى نفس الجسد ـ داخلين الى مناطقهم (السمائية) · وهذا قطعا ـ لم يكن ممكنا أن يحدث بأية طريقة أخرى ، اللهم الا اذا كان هذا

---

(٧١) أى بحسب كونه الابن الذى من ذات الآب (المعرب) ·

الذى كان موجودا فى صورة الاله ، قد اتخذ لنفسه صورة العبد ، وأذل ذاته ، راضيا بأن يصل جسده حتى الى الموت ٠

٤٣ ـ انظروا اذن ، كيف أن ذلك الذى يعتبر عند النـاس ، جهالة الله بسبب تحقير الصليب ، قد صار أكثر الاشياء كرامة ، ذلك أن قيامتنا به معتمدة عليه ٠ وليس اسرائيل وحده الذى يعتمد عليه بل كل الامم ـ كما سـبق وأنبأ النبى : يتـركون أصنامهم ، ويتعرفون على الاله الحقيقى أبى المسيح ٠ وابتداعات الشياطين قد أبطلت ، والاله الحقيقى وحده هو الذى يعبد باسم ربنا يسـوع المسيح ٠ أما عبادة الرب الذى صار فى الجسد البشرى ، ودعى يسوع ، والايمان به كابن الله ـ والتعرف على الآب بواسطته ، فهو أمر جلى ، كما قلنا ، أنه ليس اللوغوس بسبب كونه لوغوس هو الذى حصل على مثل هذه النعمة ، بل نحن ٠لانه بسبب علاقتنا بجسده فقد صرنا نحن أيضا هيكل الله ـ وتبعا لذلك قد جعلنا أبناء الله ، وذلك حتى يعبد الرب فينا أيضا ٠ والذين يبصروننا يعلنون ـ كما قال الرسول « ان الله بالحقيقة فيكم » (١ كو ١٤ : ٢٥)٠ وكما قال يوحنا أيضا فى انجيله « وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله » (يو ١ : ١٢) ٠ وكما كتب فى رسالتـه « بهذا نعرف انه يسكن فينا من روحه الذى أعطاه لنا » (١ يو٣:٢٤)٠

ان ما يميز الصلاح الصائر منه الينا ، هو أننا نمجد بسبب وجود الرب العالى فينا ، وأن النعمة أقد أعطيت له من خلالنا ـ بسبب ان الرب الذى هو مانح النعمة قد صار انسانا مثلنا ٠ والمخلص نفسه أذل نفسه باتخاذه « جسد تواضعنا » ـ واتخذ صورة عبد ، لابسا ذلك الجسد الذى كان مستعبدا للخطيئة ٠

وهو فى الحقيقة لم يحصل على شيء منا يرتقى به لان كلمة الله هو ليس فى احتياج الى شيء ، لانه كامل ، بل بالاحرى نحن الذين ذلنا منه الارتقاء ، لانه هو « النور الذى ينير كل انسان، يأتى الى العالم » (يو ١ : ٩) · ان الاريوسيين يركزون بلا جدوى على أداة الربط : « لذلك » لان بولس قال « لذلك مجده الله مجدا عاليا » (فى ٢ : ٨) · فهو بهذا القول لم يكن يعنى مكافأة لفضيلة ولا ارتقاء نتيجة تقدم اخلى ، ولكنه يقصد السبب فى العلو والتمجيد والارتفاع الذى صار فينا · وماهو هذا السبب الا أن يكون الذى كان فى صورة الله وهو ابن لاب نبيل، أذل نفسه وصار بدلا منا ومن أجلنا ؟ فلو لم يكن الرب قد صار انسانا ، لما كان فى وسعنا أن نفتدى (نتحرر) من الخطيئة وأن نقوم من بين الاموات ، بل لبقينا أمواتا تحت الارض ، ولما كنا لنرفع (لنمجد) الى السماء ، بل لرقدنا فى الحجيم ·

اذن ، فمن أجلنا ، ولمصحتنا ، كتبت هذا الكلمات « مجده مجدا عاليا » ، « وأعطاه اسما » ·

٤٤ ــ اعتقد اذن ان هذا هو قصد النص الكتابى ، وهو قصد كنسى تماما · ولكن ربما كانت هناك طريقة أخرى لشرح النص لاعطاء معنى مطابق تماما ·

أى ان النص لا يعنى تمجيد اللوغوس ذاته باعتباره لوغوس (لانه كما سبق أن قيل منذ قليل ، انه عال وأنه مثل الآب) ،ولكن النص يشير الى قيامته من بين الاموات بسبب تأنسه · فقوله « أذل نفسه حتى الموت » ثم أضاف « لذلك مجده مجدا عاليا » راغبا أن

يبين انه رغم انه كانسان كان يقـال عنه أنه قد مات . ولكن لكونه الحياة رفع بالقيامة « فان الذى نزل هو نفسه أيضا الذى قـام » (أف ٤ : ١٠) · لانه نزل بالجسد ، الا انه قام لانه هو نفسـه كان الها فى الجسد · وهذا أيضا هو السبب الذى من أجله قد مهد السبيل الى هـذا المعنى باستخـدام أداة الربط « لذلك » . والذى لا يعنى أجر فضيلة ولا ترقى ،ولكنه يكشف السبب الذى بواسطته قد صارت القيامة · ولهذا السبب نفسه مات سائر البشر منـذ آدم وحتى الآن ، وظلوا أمواتا ، أما هذا وحده فهو الذى قام من بين الاموات كاملا متكاملا · وهذا هو السبب الذى من أجله سبق الرسول نفسه وقال : انه بالرغم من كونه الها فقد صار انسانا · أما سائر البشر فقد ماتوا لانهم من نسل آدم · وقد كان للموت سيادة عليهم (رو ٥ : ١٤) · أما هـذا فهو « الانسان الثـانى من السماء » (١ كو ١٥ : ٤٧) ، وذلك لان « الكلمة قد صار جسدا » (يو١:١٤) ويقول أن مثل هذا الانسان « من السماء » و « سماوى » (١ كو ١٥ : ٤٧ . ٤٨) ذلك لان الكلمة « قد نزل من السماء » (يو٦:٣٨) ولهذا فلم يقهر (يمسك) من الموت ·

فرغم انه أذل نفسه ، مسلما جسده الخاص به حتى الموت ، وذلك بسبب قبوله الموت ، الا أنه رفع رفعة عظيمة من الارض ، ذلك لانه هو ابن الله فى الجسد · لذلك فان ما يقال هنـا « لذلك رفعه الله أيضا » فهو مساو أيضا لمـا قاله بطرس فى سفر الاعمال « الذى أقامه مبطلا أوجاع الموت ، لانه لم يكن ممكنا أن يسيطر عليه سلطان الموت» (أع ٢ : ٢٤) · فكما كتب بولس « الذى اذ كان فى صورة الله»، قد صار انسانا ، و « وأذل نفسه حتى الموت ولذلك مجده الله مجدا

عاليا » · وبالمثل يقول بطرس · وحيث انه اذ كان الها قد صار انسانا ، فان الآيات والعجائب كشفت أيضا للناظرين أنه الله ، ولذلك فلم يكن ممكنا أن يمسكه الموت » (أع ٢ : ٢٤) ·

والانسان لم يكن يستطيع أن ينجح فى تحقيق هذا ، لان الموت هو خاص بالانسان · ولهذا فان الكلمة الله صار جسدا ، لكى يحيينا جميعا بقوته بعد أن مات بالجسد ·

٤٥ ـ وبما أنه يقال أنه « مجده ورفعه » ، وأن الله «أعطاه»، فالهراطقة يظنون أن هذا نقيصة ، أو ألما خاصا بجوهر اللوغوس ، فمن الضرورى أن نقول ، بأى معنى تقال هذه الكلمات · اذ يقول انه رفع وأصعد من أقسام الارض السفلى (أف ٤ : ٩) · لان الموت صار خاصا به أيضا · وكلا (الامران) يقالان عنه حيث أنهما خاصان به وليس بآخر غيره · اذن فالجسد الذى أقيم من بين الاموات هو الذى رفع الى السماوات · وحيث أن الجسد كان يخصه ولا يوجد للجسد كيان الا باللوغوس نفسه ، لذا فمن الطبيعى انه بتمجيد وترفيع الجسد يقال أيضا أنه كانسان قد ارتفع بسبب الجسد ·

اذن فلو لم يكن قد صار انسانا ، لما كانت لتقال عنه هذه الاقوال · أما عبارة « الكلمة صار جسدا » فان كانت هناك ضرورة، أن يقال عنه أنه قام وتمجد كما يقال عن انسان ، لكى يكون هذا الموت الذى يشار به اليه ، فداءا لخطية البشر ، وابطالا للموت . أما القيامة والتمجيد فانهما يدومان فينا بالضرورة بسببه ·

وفى كلتا الحالتين قال عنه « مجده الله مجدا عاليا » ، و « الله

أعطاه » كى يبين بهذا انه ليس الآب هو الذى صار بل كلمته هو الذى صار انسانا ، فانه بحسب النمط البشرى ، يأخذ من الآب ويتمجد منه · كما سبق أن قال ·

فيكون واضحا ـ ولا يستطيع أحد أن يشكك فى ذلك ـ أن تلك الاشياء التى يعطيها الآب ، انما يعطيها عن طريق الابن · ويكون عجيبا ، وأمرا مثيرا للاستغراب حقا أن النعمة التى يعطيها الابن من لدن الآب ، نفس هذه النعمة ، يقال أن الابن ذاته قد قبلها · والرفعة التى حققها الابن من لدن الآب ، بهذه الرفعة نفسها يرفع (شدة على الراء) الابن نفسه ·

اذن فاذ هو ابن الله نفسه قد صار ابن الانسانأيضا ، وكلوغوس يعطى الاشياء من لدن الآب ، لان كل ما يصنعه ويعطيه الآب ، انما يصنعه ويعطيه من خلاله ·

وكابن الانسان فيقال انه بحسب بشريته ينال ما يخصه من ذاته ، بسبب أن جسده ليس سوى جسده الخاص به الذى هو بطبيعته أن يتقبل النعمة كما قد قيل ·

وبحسب هذه الرفعة اذن ، أخذ الانسان فى داخله · وكانت هذه الرفعة من أجل تأليه الانسان أما اللوغوس فله خاصية (التأليه) هذه بحسب الالوهية والكمال الابوى الخاصين به ·

الفصل الثانى عشر :

شرح نصوص : ثانيا : مزمور ٤٥ : ٧ ، ٨

« من أجل ذلك مسحك الله الهك »

٤٦ ـ ان هذا الشرح كما كتبه الرسول ، انما يدحض هؤلاء العديمى التقوى · وما قاله المرنم له أيضا نفس المعنى المستقيم ، الذى اساء هؤلاء فهمه · فى حين أن منشد المزامير يوضح التقوى · لانه هو أيضا يقول « عرشك يا الله الى الدهور ، صولجان استقامه هو صولجان ملكك أحببت البر وأبغضت الاثم ، من أجل ذلك مسحك الله الهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك » (مز ٤٥ : ٧ ـ ٨ . وعب ١ : ٨ ، ٩) ·

انظروا أيها الاريوسيون وميزوا الحقيقة هنا أيضا · فالمرنم يقول ، أننا جميعا « شركاء » الرب · فلو كان اللوغوس من العدم، وكان هو واحدا من المخلوقات ، لكان هو أيضا واحدا من الشركاء · وحيث أن المرنم سبح له باعتباره الاله الابدى قائلا « عرشك يا الله الى دهر الدهور » وقد أعلن أن جميع الاشياء الاخرى تشاركه ، فماذا يجب أن يفهمه الواحد منا ، غير انه آخر غير المخلوقات ، مختلف عن المخلوقات) ، وأنه هو وحده كلمة الله الحق ، وهو البهاء والحكمة التى تشارك فيه جميع المخلوقات ، وهى تتقدس منه بالروح ؟ ولذلك فهو هنا « يمسح » (بضم الياء) لا لكى يصير الها. لانه كان الها حتى قبل أن يمسح ، ولا لكى يصير ملكا ، لانه قد كان هو المالك على الدوام ، اذ أنه صورة الله كما يقول الوحى (أنظر ٢ كور ٤ : ٤ ، كولوسى ١ : ١٥) · بل أن هذا أيضا (أى أنه مسح) قد كتب من أجلنا · لانه عندما كان الملوك ـ أيام اسرائيل ـ يمسحون ، فعندئذ فقط كانوا يصيرون ملوكا ، حيث أنهم لم يكونوا ملوكا قبل مسحهم ، وذلك مثل داود وحزقيا ويوشيا وغيرهم · أما

المخلص فهو على العكس ، حيث انه اذ هو الله ، يزاول دائما حكم مملكة الآب ولما كان هو نفسه مانح الروح القدس . الا أنه يقال الآن أنه يمسح (بضم الياء) · لكنه كانسان يقال عنه انه يمسح (بضم الياء) بالروح وذلك حتى يبنى فينا نحن البشر سكنى الروح وألفته تماما مثلما وهبنا الرفعة والقيامة · وهذا ما عناه هو نفسه عندما أكد الرب عن نفسه فى الانجيل بحسب يوحنا « أنا قد أرسلتهم الى العالم ولاجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضا مقدسين فى الحق » (يو ١٧ : ١٨ ، ١٩) · وقد أوضح بقوله هذا انه ليس هو المقدس (بتشديد وفتح الدال) بل المقدس بتشديد وكسر الدال)· لانه لم يقدس من آخر بل هو يقدس ذاته ، حتى نتقدس نحن فى الحق · وهذا الذى يقدس ذاته انما هو رب التقديس · كيف اذن حدث هذا ؟ وماذا يريد أن يقول بهذا سوى أنه : « كونى أنا كلمة الآب ، فأنا نفسى أعطى ذاتى الروح · أنا الصائر انسانا · وأنا الصائر انسانا فيه أقدس لكى يتقدس الجميع فى · أنا الذى هو الحق · (لان « كلمتك أنت هى الحق » يو ١٧ : ١٧) ·

٤٧ ـ اذن فان كان يقدس ذاته من أجلنا ، وهو يفعل هذا لانه قد صار انسانا ، فمن الواضح جدا أن نزول الروح عليه فى الاردن ، انما كان نزولا علينا نحن ، بسبب لبسه جسدنا · وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس ، بل من أجل تقديسنا من جديد ، ولكى نشترك فى مسحته ، ولكى يقال عنا « ألستم تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦) فحينما اغتسل الرب فى الاردن كانسان ، كنا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته ·

وحينما اقتبل الروح ، كنا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته·ولهذا السبه ، فهو ليس كهارون ، أو داود أو الباقين ـ قد مسح بالزيت هكذا ـ بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه ـ

أى « بزيت الابتهاج » ـ التى فسر أنه يعنى الروح ـ قائلا بالنبى : « روح الرب على لانه مسحنى » (اش ٦١ : ١) ، كما قال الرسول أيضا « كيف مسحه الله بالروح القدس » (أع ١٠ : ٣٨) · متى قيلت عنه هذه الاشياء ـ الا عندما صـار فى الجسد وأعتمد فى الاردن ، « ونزل عليه الروح » ؟ (مت ٣ : ١٦) · وحقا يقـول الرب لتلاميذه أن « الروح سـيأخذ مما لى » (يو ١٦ : ١٤) ، و « أنا أرسله » (يو ١٦ : ٧) ، و « اقبلوا الروح القدس » (يو ٢٠ : ٢٢) · الا انه فى الواقع هذا الذى يعطى للآخرين ككلمـة وبهـاء الآب ، يقال الآن أنه يتقـدس وهذا من حيث أنه قد صـار انسانا ، والذى يتقدس هو جسده ذاته ·

اذن فمن ذلك قد بدأنا نحن الحصـول على المسحة والختم ، مثلما يقول يوحنا « أنتم لكم مسحة من القدوس » (١ يو ٢ : ٢٠) والرسول يقول « أنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (أفسس ١:١٣) · ومن ثم فان هـذه الاقوال هى بسببنا ومن أجلنا · فأى تقـدم فى الارتقاء ، وأى أجر فضيلة أو عموما أى أجر عمـل للرب ، يتضح من هـذا ؟ ·

فلو أنه لم يكن الها ، ثم صار الها ، ولو كان قد رقى الى ملك وهو لم يكن ملكا ، فانه يكون لقولكم بعض الظلمن الاحتمال ·

أما ان كان هو الله ، ويكون « عرش ملكه أبدى » فالى أى مدى يمكن أن يرتقى الله ؟· أو ماذا ينقص هـذا الذى هو جالس على عرش الآب ؟ وكما قال الرب نفسـه ، ان كان الروح هو روحه ، والروح أخذ منه ، وهو نفسه أرسل الروح (أنظر يو ١٦ : ١٤ ، يو ١٦ : ٧) ، اذن ، فلا يكون اللوغوس باعتباره اللوغوس والحكمة هو الذى يمسح من الروح ، الذى يعطيه هو ذاته ، بل الجسد الذى قد اتخذه ، هو الذى يمسح فيه ومنه ، وذلك لكى يصير التقـديس

الصائر الى الرب كانسان ، يصير (هذا التقديس) الى جميع البشر به · لان يقول : « ان الروح لايتكلم من نفسه » (أنظر يو ١٦ : ١٣) بل اللوغوس هو الذى يعطى هذا (الروح) للمستحقين · فان هذا يشبه ما سبق من قول ، لانه كما كتب الرسول « الذى اذ كان فى صورة الله ، ولم يحسب خلسة أن يكون مساويا لله . ولكنه أخلى نفسه أخذا صورة عبد » (فيلبى ٢ : ٦ ، ٧) · وبالمثل يرنم داود للرب ، انه اله وملك أبدى ، مرسل الينا ومتخذا جسدنا الذى هو مائت · لان هذا هوالمقصود فى المزمور بالقول « مر وعود وقرفة تفوح من ثيابك » (مز ٤٥ : ٨) ويتضح نفس الشىء مما فعله نيقوديموس والنسوة اللاتى مع مريم حينما جاء نيقوديموس حاملا « مزيج مر وعود نحو مئة رطل » (يو ١٩ : ٣٩) ، وكانت النسوة قد أعددن الحنوط لجسد الرب (لو ٢٤ : ١) ·

٤٨ ـ فأى تقدم هو اذن بالنسبة لغير المائت عندما يتخذ ما هو مائت ؟ أ وأى ارتقاء هو للأزلى عندما يلبس ما هو وقتى ؟ وأى أجر يمكن أن يكون بالنسبة لله والملك الابدى الذى هو فى حضن الآب ؟ ألا تدركون ان هذا قد صار وكتب بسببنا ومن أجلنا ، لانه اذ قد صار الرب انسانا ، لكى يصوغنا نحن المائتين والوقتيين ويجعلنا غير مائتين · ولكى يدخلنا الى ملكوت السموات الابدى ؟ ألا تستحون وأنتم تزيفون الاقوال الالهية ؟ لانه بنزول ربنا يسوع المسيح واقامته بيننا ، فاننا بالحقيقة قد ارتقينا لاننا تحررنا من الخطيئة ، أما هو فهو باق هو هو ولا يتغير بصيرورته انسانا (لانه يلزم أن نكرر نفس القول) ، بل كما هو مكتوب فان « كلمة الله يبقى الى الابد » (أش ٤٠ : ٨) ·

اذن ، مثلما كان قبل تأنسه ـ اذ انه كان اللوغوس ، فانه مذح الروح للقديسين باعتباره خاصا به ـ وهكذا عندما صار انسانا فانه قدس الجميع بالروح وقال لتلاميذه ، « اقبلوا الروح القدس »

(يو ٢٠ : ٢٢) ، وقد أعطى (الروح) لموسى وللسبعين الآخرين (أنظـر عدد ١١ : ١٦) · والذى به صـلى داود للآب قائلا : « روحك القدوس لا تنزعه منى » (مز ٥١ ، ١١) ·

أما عندما صار انسانا فقد قال « سأرسل لكم المعزى روح الحق » (يو ١٥ : ٢٦) ، وبالفعل أرسله ، لان كلمة الله منزه عن الكذب · اذن فان « يسوع المسيح هو هو بالامس واليوم والى الابد » (عب ١٣ : ٨) وحيث أنه يظل غير متغير وهو ذاته العاطى والآخذ : فهو يعطى ككلمة الله ، ويأخذ كانسان ·وتبعا لذلك فليس اللوغوس ـ باعتباره بالحقيقة لوغوس ـ هو الذى ارتقى ، اذ كانت له دائما، وله على الدوام ـ كل الاشياء · أما البشر ـ الذين يأخذون البداية منهوبسببه ، ـ فهؤلاء هم الذين يرتقون ·لانه حينما يقال بحسب الوجهة البشرية أنه الآن يمسح (بضم الياء) ـ نكون نحن ، الذين نمسـح فى شخصه ، حيث أنه حينما اعتمد ، نكون نحن الذين نعتمد فى شخصه · ويوضح المخلص بالاحرى كل هذه الامور حينما يقول للآب : « وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد » (يو ١٧ : ٢٢) ، وتبعا لذلك فانه كان يطلب المجد أيضا من أجلنا · وبسببنا أيضا استخدم كلمة « أخذ » وكلمة « أعطى » وكلمة « مجد مجدا عاليا ، وذلك لكى نأخذ نحن أيضا ، ولكى يعطى لنا ، ولكى نمجد نحنفيه مجدا عاليا · وذلك كما يقدس ذاته من أجلنا ، لكى نتقدس نحن فى شخصه ·

٤٩ ـ وان كان هؤلاء ـ بسبب ما جاء فى المزمور « من أجل هذا مسحك الله الهك » (مز ٤٥ : ٨) يستخدمون التعبير « منأجل هذا » من أجل رغباتهم الخاصة ، فليعـرف هؤلاء الذين يجهلون الكتب المقدسة ، والذين انكشف عدم تقواهم ، أن تعبير « من أجـل هذا » هنا أيضا ، لا يعنى أجر فضيلة أو سلوكا خاصا باللوغوس ، بل يعنى السبب الذى من أجله نزل الينا ، ويعنى السبب فى مسحة

الروح التى مسح بها من أجلنا · لانه لم يقل « من أجل مسحك » لكى يصير هو اله أو ملك أو ابن أو لوغوس . لانه كان هكذا وهو دائما هكذا من قبل ان يمسح . كما سبق أن أظهرنا ، بل بالاحرى، بما أنك أنت اله وملك ، من أجل ذلك أيضا مسحت ، حيث أنه لم يكن فى وسع أحد آخر أن يوحد الانسان بالروح القدس ، سواك أنت الذى هو صورة الله ، تلك الصورة التى بحسبها خلقنا منذ البدء ، لان الروح هو روحك أنت · وكل هـذا حدث لان طبيعة المخلوقات لا يركن اليها بخصوص هذا الامر · ففى حين تمرد الملائكة ، فان البشر كانوا عصاة · لذلك كان الامر يحتاج بالضرورة الى تدخـل الله ـ « لان اللوغوس هو الله » (يو ١ : ١) ، وذلك لكى يحرر الذين صاروا تحت عبء اللعنة · فلو كان هو من العدم لمـا كان هو المسيح ، لكونه واحدا بين الجميع وشريكا لهم ·

ولكن بما انه اله لكونه ابن الله ، فهو ملك أبدى ، نظرا لانه بهاء الآب وصورته · من أجل ذلك فمن اللائق أن يكون هـذا هو المسيح المنتظر ، الذى وعد الآب البشر به ، كما كشف عنه لانبيائه القديسين ، لكى كما خلقنا به ، يصير به هكذا أيضا خلاص الجميع من خطاياهم ، ولكى تكون كل الاشياء تحت حكمه · وهذا هو سبب المسحة التى صارت له ، وسبب « الحضور المتجسد للوغوس » . وهذا السبب هو الذى تنبأ به مرنم المزامير مسبحا بألوهيته وملكوته الابوى ، عندما هتف قائلا « عرشك يا الله الى دهر الدهور،صولجان استقامه هو صولجان ملكك » (مز ٤٥ : ٦) ، ثم يعلن نزوله الينا بقوله : « من أجل ذلك ، مسحك الله ، الهك ، بزيت الابتهاج أكثـر من شركائك » (مز ٤٥ : ٧) ·

٥٠ ـ لمـاذا يكون مثيرا للدهشة ، أو بعيدا عن الاعتقاد ، ان كان الرب ، وهو واهب الروح ، يقال عنه الآن انه مسح بالروح، حينما تستلزم الحاجة ذلك ، فانه لا يرفض القول عن نفسه أنه هو

أدنى شأنا من الروح ـ بسبب طبيعته البشرية ـ لانه عندما قال اليهود أنه « يخرج الشياطين ببعلزبول » (متى ١٢ : ٢٤) فانه لكى يكشف تجديفهم ، أجاب وقال لهم « أنى بروح الله اخـرج الشياطين » (متى ١٢ : ٢٨) · فها هوذا واهب الروح يقـول الآن انه يخرج الشياطين بالروح ، وهذا القول لم يكن ليقال لاى سبب آخر ، سوى من ناحية الجسد · لانه كما أن طبيعة الانسان لم تكن كافية من ذاتها أن تطرد الشياطين بدون قوة الروح ، من أجل هذا كان كانسان يقول « انى بروح الله أخرج الشياطين » · وطبيعى ان التجديف الذى صار ضد الروح القدس ، أعظم من التجديف الذى يكون ضد طبيعته البشرية ولذلك قال « كل من قال كلمـة تجديف ضد ابن الانسان يغفر له » (متى ١٢ : ٣٢) مثل من قالوا « أليس هذا هو ابن النجار » (متى ١٣ : ٥٥) · أما الذين يجدفون على الروح القدس ، وينسبون أعمال اللوغوس للشيطان فهؤلاء سيكون لهم عقاب لا مناص منه · اذن فان الرب قال مثل هذه الاقوال لليهود كانسان ، أما التلاميذ فقد بين لهم ألوهيته وجلاله ، مشيرا الى ذاته أنه ليس أقل اطلاقا من الروح بل مساو له · وأعطاهم الروح وقال: « اقبلـوا الروح القدس » (يو ٢٠ : ٢٢) وأيضا « أنا أرسـله » (يو ١٦ : ٧) ،و « ذاك يمجـدنى » (يو ١٦ : ١٤) ، « كل ما يسمع يتكلم به » (يو ١٦ : ١٣) · وبالمثل اذن فان الـرب مانح الروح نفسه ، لا يكف عن القول انه بالروح يخرج الشياطين كانسان ، وبنفس الطريقة ، حيث أنه هو ذاته واهب الروح ، فانه لا يتوقف عن القول : « روح الرب على لانه مسحنى » (اش ٦١:١) وذلك بسبب أنه قد صار جسدا (يو ١ : ١٤) ، كما قال يوحنا ، لكى يتضح انه فى هذين الامرين ، أننا نحن الذين نكون محتاجين لنعمة الروح لكى نتمجد ، وانه ليس فى وسعنا أن نخرج الشياطين بدون قوة الروح ·

بواسطة من اذن ، وممن كان يجب أن يمنح (بضم الياء) الروح

الا بواسطة الابن ، وهو الذى يعتبر الروح أيضا روحه · ؟ ومتى كان فى استطاعتنا نحن الحصول على الروح الا عندما صار اللوغوس انسانا ؟ (يو ١ : ١٦) · وهذا ما يتضح تماما من قول الرسول ، أننا لم نحصل على الفداء ولا على التمجيد مجدا عاليا ، لو لم « يتخذ صورة عبد ، ذاك الذى كان فى صورة الله » (فى ٢ : ٦ ، ٧) ·

هكذا يرينا داود أيضا أنه ليست هناك طريقة أخرى ، لكى نشارك الروح ، ونتقدس لو لم يقل اللوغوس ذاته ، واهب الروح ، بأنه هو ذاته ، مسح بالروح من أجلنا ، ولهذا السبب طبعا أخذنا الروح ، اذ أنه هو الذى قيل فيه انه قد مسح بالجسد · حيث أن جسده الخاص هو الذى تقدس أولا ، واذ قيل عنه كانسان،أن جسده قد اتخذ هذا (الروح) ، فلأجل هذا ، فنحن نمتلك نتيجة لذلك ، نعمة الروح ، آخذين اياها « من ملئه » (أنظر يو ١ : ١٦) ·

٥١ ـ وأما الآية الواردة فى المزمور : « أحببت البر ، وأبغضت الاثم » (مز ٤٥ : ٧) ، فهى ليست مثلما تفهمونها أنتم انها تبين ان طبيعة اللوغوس متغيرة ، بل بالاحرى فانها تعنى أن اللوغوس غير متغير · لانه بما أن طبيعة المخلوقات متغيرة والبعض تعدوا الوصية ، والبعض الآخر قد تمردوا ، كما سبق أن قيل فان أعمالهم ليست أكيدة ، بل يحدث كثيرا أن ذلك الذى هو صالح الآن ، يتحول بعد ذلك ويصير شيئا آخر · فمثلا هذا الذى يكون الآن عادلا ، فبعد قليل يكون ظالما لذا أيضا ، كان هناك احتياج الى واحد غير متغير ، لكى يحصل البشر على عدم تغير بر اللوغوس ، كصورة ومثال لاجل تحقيق الفضيلة · أما مثل هذا التفكير فله أيضا سبب معقول للذين يفكرون باستقامة ، لانه بما أن الانسان الاول آدم (١ كو ١٥ : ٤٥) تعرض للتغير، وبسبب الخطية دخل الموت الى العالم (رو ٥ : ١٢) من أجل هذا وجب أن يكون آدم الثانى غير متغير ، حتى ولو استمرت الحية

تزاول عملها ، فان خداعها يضعف ، أما الرب ، فلكونه غير متغير وثابت ، تصير الحية عاجزة فى مساعيها ضد الجميع · لانه مثلما سقط آدم فى العصيان ، فان الخطية « اجتازت الى جميع الناس » (رو ٥ : ١٢) ، وهكذا حينما صار الرب انسانا ، وحطم الحية ، فان قوته العظيمة هذه قد انتقلت الى جميع الناس ، حتى يقولكل واحد منا « لاننا لا نجهل أفكاره » (٢ كو ٢ : ١١) ·

ومن الصواب اذن ، فان الـرب ، الذى هو دائمـا ـ بحسب طبيعته غير متغير ـ ، وهو الذى يحب البر ، ويبغض الاثم ، مسح (بضم الميم) وارسل هو ذاته ، لكونه هو ذاته ، وهو باق هو هو ، باتخاذه جسدا متغيرا ، لكى يدين الخطية فى الجسد (أنظر رو ٨ : ٣) ، ولكى يجعل ذات هذا الجسد حرا ، ولكى يستطيع من الآن فصاعدا أن يتمم به حـكم الشريعة ، ولكى نستطيع أن نقـول « نحن لسنا فى الجسد بل فى الروح ، ان كان حقا روح الله ساكنا فى داخلنا » (رو ٨ : ٩) ·

٥٢ ـ أيها الآريوسيون ، قد صار عبثا مثل هذا الشك الذى صار فيكم ، وعبثا ما تدعونه وما تتعللون به من أقوال الانجيل ، لان اللوغوس الذى هو كلمة الله انما هو غير متغير ، وهو مستمر دائما فى حالة واحدة ، ليس كيفما اتفق ، بل هو مثل الآب · لانه كيف يكون مثله ، ان لم يكن هو نفسه كذلك ؟

أو كيف يكون كل ما هـو للآب ، هـو للابن أيضا (أنظر يو ١٦ : ١٥) ان لم يكن للابن صـفة عدم تغيـر الآب ودوامـه ؟· وبما أنه غير خاضع للقوانين الطبيعية بأن ينحاز لواحد ضد آخر، فانه اذن لا يحب الواحد ويكره الآخر ·

فلو أنه بسبب الخوف من السقوط ينحاز الى واحد ، فانه حينئذ سينكشف من الجهـة الاخرى ، أنه متغير · ولكنه لكونه اله وكلمة الآب ، فهـو قاض عادل ومحب للفضيلة ، وبالاحـرى هو مانـح

الفضيلة · اذن فهو عادل وقدوس بطبيعته · فلهذا يقال انه يحب البر ويبغض الاثم (أنظر أش ٦١ : ٨) ، وهذا يعادل القول القائل أنه يحب الصالحين ويمينهم · أما الظالمون فانه ينفر منهم ويبغضهم لان الكتب المقدسة تقول نفس القول عن الآب : « الرب عادل ويحب العدل » (مز ١١ : ٧) ، و « يبغض كل فعلة الاثم » (مز ٥:٦) « وأحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب » (مز ٨٧:٢) « وأحب يعقوب وأبغض عيسو » (ملاحى ١ : ٢ ، ٣) وفى أشعياء كان صوت الرب أيضا قائلا « أنا هو الرب محب العدل ومبغض الاختلاس الناتج عن الظلم » (اش ٦١ : ٨) فينبغى اذن عليهم ، اما أن يفسروا تلك الاقوال بنفس المعانى التى تعنيها هذه الاقوال أيضا ـ لان تلك الاقوال قد كتبت عن صورة الله ـ واما فانهم باساءتهم تفسير هذه الاقوال كتلك ، أيضا ، فانهم سيضطرون الى القول أن الآب هو متغير أيضا ·

ولكن بما أن مجر سماع الآخرين يقولون هذا القول ، هو أمر له أخطار كثيرة ، لهذا فاننا نفكر بالصواب بقولنا ان « الله يحب العدل ويبغض الاختلاس بالظلم » · وهذا لا يعنى بأنه له ميل تجاه الواحد أو تجاه الآخر ، ويقبل ما هو مضاد ، لدرجة انه يفضل هذا ولا يفضل ذاك ، فهذه هى سمة المخلوقات ، بل يعنى أنه ، كقاض ، يحب الابرار ويعينهم ويعزف عن الاشرار · وتبعا لهذا اذن ، ينبغى أن نفكر بمثل هذه الافكار عن « صورة الله » أيضا بأنه هكذا يحب ويكره ، لان هذا ما يجب أن تكون عليه طبيعة « الصورة » مثل طبيعة الآب ، حتى ولوكان الآريوسيون ـ لانهم عميان ـ لا يرونها ولا يرون شيئا آخر من الاقوال الالهية ·

وبسبب تناقض الافكار فى قلوبهم أو بالاحرى سوء أفكارهم وخبلهم ، فانهم يلوذون مرة أخرى بنصوص الكتب المقدسة ، التى عادة لا يشعرون بها ، فلا يدركون معناها الصحيح ـ ولكنهم جعلوا

من عدم تقواهم الذاتى قاعدة طابقوا عليها كل هذه الاقوال الالهية وحـــرفوها · وعند مجرد ذكر مثل هـــذا التعليم فانهم لا يستحقون سماع شيء آخر ســوى « تضلون لانكم لا تعــرفون الكتب ولا قوة الله » (متى ٢٢ : ٢٩) · وان تشبثوا بكلامهم فمن الواجب أن نسكتهم بالقول « اعطوا ما للنـــاس للنـــاس ، وما لله لله » (أنظر متى ٢٢ : ٢١) ·

—●—

الفصل الثالث عشر :

شرح نصوص : ثالثا : عبرانيين ١ : ٤

« صائرا أعظم من الملائكة »

٥٣ ـ ولكنهم يقولون أنه مكتوب فى الامثال « الــرب أقامنى أول طرقه لاجل أعمـــاله » (ام ٨ : ٢٢) · وأنه فى الرسالة الى العبرانيين يقول الرسول « صائرا أفضل من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسما أكثر تميزا عنهم » (عب ١ : ٤) · ويقول بعد قليل « من ثم أيها الاخـــوة القديسون شركاء الدعوة السماوية ، ركزوا انتباهكم جيدا على رســول ورئيس كهنته اعترافنا يسوع ، حـــال كونه أمينا للذى أقامه (عب ٣ : ١ ، ٢) · وفى سفـــر الاعمـــال « فليعلم يقينا جميـــع بيت اسرائيل ان الله جعل يســـوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا » (اع ٢ : ٣٦) ·

هذه الاقوال يتفوهون بها فى كل مكان ، ولديهم أفكار معوجة عنها ومحرفين معناها ، مدعين بها أن كلمة الله مخلوق ومصنوع، وواحـــد من المخلوقات وهكذا يخدعون الجهـــلاء ، متسترين تحت ستار هذه الاقوال التى يطرحونها ·

ولكنهم بدلا من المعنى الحقيقى ، فانهم يلقون بذور سم هرطقتهم الخاصة ، لانهم « لو كانوا يعرفون ، لما كانوا يجدفون على هذا الذى هو « رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) ، ولما كانوا يحرفون معانى أقوال الكتاب الحسنة . اذن ، فان كانوا يتبنون أسلوب قيافا صراحة ، فانهم يكونون تبعا لذلك قد قرروا أن يتهودوا ، حتى أنهم يجهلون المكتوب بأنه « حقا سيسكن الله على الارض » (أنظر زكريا ٢ : ١٠) . دعهم لا يفحصون الاقوال الرسولية ، لان هذا ليس من سمة اليهود .

ولكن من الناحية الاخرى ، ان كانوا يمزجون أنفسهم بالمانويين (٧٢) الملحدين ، وينكرون ان « الكلمة صار جسدا » (يو ١ : ١٤) وينكرون « حضوره المتجسد » اذن فلا يكون من حقهم أن يستعملوا الامثال ، لان هذا كان غريبا بالنسبة للمانويين. ولكن ان كان بسبب اثارة المشكلة ، والربح الناتج من جشعهم ، وبسبب طموحهم وحبهم للشهرة ، لا يجسرون على انكار أن « الكلمة قد صار جسدا » لان هذا مكتوب حقا ، عندئذ ، فاما أنهم من واجبهم أن يفسروا تلك الكلمات المكتوبة بخصوص « الحضور التجسدى للمخلص » ، تفسيرا صائبا ، واما ، ان كانوا ينكرون القصد السليم ، اذن ، فلينكروا أن الرب قد صار انسانا . لانه لا يليق بهم أن يعترفوا بأن « الكلمة قد صار جسدا » ، ومن ناحية أخرى يستحون من المكتوب عنه ، ولذلك فانهم يحرفون معناه .

---

(٧٢) كانت المانوية مماثلة لمذهب الغنوسية (أى مذهب العارفين ، وهم المسيحيون الذين يعتقدون ان الخلاص بالمعرفة دون الايمان) . وكانت المانوية تؤمن بالمبدأ الثنائى : فالعالم تحكمه قوتان مضادتان : النور والظلام ، والخير والشر ، الله والمادة وبحسب اعتقادهم أن المسيح قد صلب لان لديه فى داخله عنصر خاضع للالم والمعاناة .

٥٤ ـ لانه مكتوب « بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة » (عب ١ : ٤) لذلك فمن الواجب أن نفحص هذا أولا · والآن من الملائم كما نعمل فى كل الاسفار الالهية ، هكذا من الضرورى أن نعمل هنا أيضـا ، فيجب أن نفهم بأمانة : العصر الذى كتب عنه الرسول . والشخص والموضـوع اللذين كتب عنهما ، لـكى لا يجد القارىء نفسـه ـ وهو يجهل هـذه الاقوال أو غيرها ، بعيـدا عن المعنى الحقيقى · ولذلك فان ذلك الخصى المحب للمعـرفة ـ حينما عـرف هذا توسل الى فيلبس قائلا : « انى أسألك ، عمن يقول النبى هذا ، عن نفسه أم عن شخص آخر ؟ » (أع ٨ : ٣٤) لانه كان يخشى أن يحيد عن المعنى المستقيم ، ويفهم الـكلام عن شخص آخر من خلال قراءته · وأيضا التلاميذ بسبب رغبتهم أن يعرفوا وقتحدوث ما قاله الرب توسلوا اليه قائلين « قل لنا متى ستكون هذه الامور؟· وما هى علامة مجيئك » (مت ٢٤ : ٣) · وأيضا عندما سمعوا من المخلص ما قاله عن النهاية ، أرادوا أيضا أن يعرفوا زمنهـا (أنظر متى ٢٤ : ٣٦) · وذلك لكى لا يضلوا هم ، وأيضا لـكى يتمـكنوا من تعليم الآخرين ، فانهم بعـد أن عرفـوا فقد صححوا (أفكار) الذين كانوا على وشك الضلال من أهل تسالونيكى (٧٣)·

لذا فعندما يكون لدى واحد من مثل هؤلاء معرفة كثيرة ، عندئذ سيكون له فكر ايمان صحى ومستقيم · اما اذا أساء أحد فهم شىء من هذه ، فانه سينزلق فى الحال الى الهرطقة · وهكذا ضل الذين يتبعون هيمنايس والاسكندر (١ تيمو ١ : ٢٠) ، لانه برغم أن الوقت لم يكن قد صار بعد ، كانوا يقولون أن القيامة قد صـارت

---

(٧٣) أساء أهل تسالونيكى فهم محتويات رسالة الرسول بولس الاولى الموجهة اليهم بخصوص مجىء المسيـح الفجائى ،وتركوا أعمالهم فى انتظار المجىء الثانى ، لذلك أضطر الرسول أن يكتب اليهم الرسالة الثانية كى يهدىء خواطرهم ، معلنا لهم العلامات التى ستسبق هذا المجىء ·

بالفعل · (أنظر ٢ تيمو ٢ : ١٨) · فى حين أن الغلاطيين ـ بعد أن اكتمل الزمان ـ قد مالوا الآن الى الختان (٧٤) · أما من جهة الشخص ، فقد كابد اليهود ولا يزالون يقاسون حتى الآن ، لانهم يظنون أن هذه الآية « هوذا العذراء تحمل وستلد ابنا ، وتدعون اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا » (أش ٧ : ١٤ ، متى ١ : ٢٣) تقال بخصوص واحد منهم (لا يزالون ينتظرونه) وانه عندما قيل « سيقيم لكم الرب نبيا من وسطكم » (تث ١٨ : ١٥ ، أع ٣ : ٢٢) فانهم يظنون انه يتكلم عن واحد من انبيائهم،أما القول « كشاة قد سيقت الى الذبح » (أش ٥٣ : ٧) ، فانهم لميتعلموا من فيلبس الى من يشير ، بل ظنوا أنه يتكلم عن أشعياء أو عن نبى آخر من بين أنبياءهم ·

٥٥ ـ لذا فان أعداء المسيح انزلقوا الى الهرطقة البغيضة بسبب معاناتهم من مثل هذه الامور · فانهم لو كانوا قد عرفوا تماما الشخص والموضوع والوقت المتعلق بالكلمة الرسولية ، لما جدف أولئك الحمقى الى هذا الحد ـ ناسبين الامور الناسوتية الى ألوهيته ·

وفى استطاعة أى شخص أن يرى هذا ، لو أنه فسر بداية الفصل تفسيرا جيدا فان الرسول يقول « الله بعد ما كلم الآباء بواسطة الانبياء قديما ، مرات كثيرة وبطرق متنوعة ، كلمنا فى هذه الايام الاخيرة بواسطة ابنه » (عب ١ : ١ ، ٢) · وبعد قليل يقول « بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الاعالى · صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسما أفضل منهم » (عب ١ : ٣ ، ٤) ·

---

(٧٤) كان المسيحيون المتهودون يعملون على غواية الغلاطيين ، وكان هؤلاء المتهودون يعتبرون الاحتفاظ بشريعة موسى والختان ضرورة ملحة للمسيحية وكتب بولس رسالته اليهم ـ خاصة لاجل دحض وجهة النظر هذه ·

ان القول الرسـولى اذن يشير الى الزمن الذى فيـه « كلمنا بواسـطة ابنه » ، عنـدما قد صار تطهـير خطايانا أيضا · فمتى « تحدث الينا فى شخص ابنه » · ومتى قد صار « تطهير الخطايا »؟ ومتى قد صار انسانا الا بعد الانبياء فى الايام الاخيرة ؟ وبما أنه كان يقص قصة التدبير الخاص بكل منا ، وكان يتكلم عن الازمنـة الاخيرة ، فانه لا ينقطـع عن ذكر أن الله لم يكف عن التحدث الى الناس خلال الازمنة المـاضية ، لانه تحدث اليهم بواسطة الانبياء · ولان الانبياء قد خدموا ، والشريعة أعلنت بواسطة الملائكة (عب ٢ : ٢) ، والابن أيضا نزل وجاء لكى يخدم (متى ٢٠ : ٢٨) ، لذا كان من الضرورى أن يضيف ، « صائرا أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار » رغبة منه أن يوضح أن الابن بقدر ما يختلف عن العبد، بقدر ذلك صارت خدمة الابن أفضل من الخدمة التى يقدمها العبيد ·

اذن ، بعد أن ميز الرسول بين الخدمة قديما وبينها حديثا . فانه يقدم لليهود كاتبا وقائلا « صائرا أعظم من الملائكة بمثل هـذا المقدار » ، لهذا فانه لم يعقد مقارنة بينه وبين الكل (أى المخلوقات)، بقوله انه قد صار « أعظم » ، أو « أكثر كرامة » وذلك لكى لايظن أحد بخصوصه وخصوصهم ـ أنهم أبناء جنس واحد·بل قد قال انه « أفضل » وذلك لكى يكون معروفا ، اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة المخلوقات ·ولدينا الدليل على هذا من الكتب المقدسة · اذ يترنم داود قائلا « يوم واحد فى ديارك خير من ألف » (مز ٨٤ : ١٠)· أما سليمان فيهتف قائلا : « خذوا تأديبى لا الفضة · والمعرفة أكثر من الذهب المختار · لان الحكمة خير من الاحجار الكريمة،وكل مادة ثمينة لا تساويها » (ام ٨ : ١٠ ، ١١) ·

لانه كيف لا تكون الحكمة والاحجار المستخرجة من الارض ، مختلفة فى جوهرها ، وهى بطبيعتها شىء آخر ؟ وأية علاقة توجد بين الديار السماوية ، وبين المساكن التى على الارض ؟ أم ما وجه

بالفعل · (أنظر ٢ تيمو ٢ : ١٨) · فى حين أن الغلاطيين ـ بعد أن اكتمل الزمان ـ قد مالوا الآن الى الختان (٧٤) · أما من جهة الشخص ، فقد كابد اليهود ولا يزالون يقاسون حتى الآن ، لانهم يظنون أن هذه الآية « هوذا العذراء تحمل وستلد ابنا ، وتدعون اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا » (أش ٧ : ١٤ ، متى ١ : ٢٣) تقال بخصوص واحد منهم (لا يزالون ينتظرونه) وانه عندما قيل « سيقيم لكم الرب نبيا من وسطكم » (تث ١٨ : ١٥ ، أع ٣ : ٢٢) فانهم يظنون انه يتكلم عن واحد من انبيائهم،أما القول « كشاة قد سيقت الى الذبح » (أش ٥٣ : ٧) ، فانهم لميتعلموا من فيلبس الى من يشير ، بل ظنوا أنه يتكلم عن أشعياء أو عن نبى آخر من بين أنبياءهم ·

٥٥ ـ لذا فان أعداء المسيح انزلقوا الى الهرطقة البغيضة بسبب معاناتهم من مثل هذه الامور · فانهم لو كانوا قد عرفوا تماما الشخص والموضوع والوقت المتعلق بالكلمة الرسولية ، لما جدف أولئك الحمقى الى هذا الحد ـ ناسبين الامور الناسوتية الى ألوهيته ·

وفى استطاعة أى شخص أن يرى هذا ، لو أنه فسر بداية الفصل تفسيرا جيدا فان الرسول يقول « الله بعد ما كلم الآباء بواسطة الانبياء قديما ، مرات كثيرة وبطرق متنوعة ، كلمنا فى هذه الايام الاخيرة بواسطة ابنه » (عب ١ : ١ ، ٢) · وبعد قليل يقول « بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الاعالى · صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسما أفضل منهم » (عب ١ : ٣ ، ٤) ·

---

(٧٤) كان المسيحيون المتهودون يعملون على غواية الغلاطيين ، وكان هؤلاء المتهودون يعتبرون الاحتفاظ بشريعة موسى والختان ضرورة ملحة للمسيحية وكتب بولس رسالته اليهم ـ خاصة لاجل دحض وجهة النظر هذه ·

ان القول الرسـولى اذن يشير الى الزمن الذى فيـه « كلمنا بواسـطة ابنه » ، عنـدما قد صار تطهـير خطايانا أيضا · فمتى « تحدث الينا فى شخص ابنه » · ومتى قد صار « تطهير الخطايا »؟ ومتى قد صار انسانا الا بعد الانبياء فى الايام الاخيرة ؟ وبما أنه كان يقص قصة التدبير الخاص بكل منا ، وكان يتكلم عن الازمنـة الاخيرة ، فانه لا ينقطـع عن ذكر أن الله لم يكف عن التحدث الى الناس خلال الازمنة المـاضية ، لانه تحدث اليهم بواسطة الانبياء · ولان الانبياء قد خدموا ، والشريعة أعلنت بواسطة الملائكة (عب ٢ : ٢) ، والابن أيضا نزل وجاء لكى يخدم (متى ٢٠ : ٢٨) . لذا كان من الضرورى أن يضيف ، « صائرا أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار » رغبة منه أن يوضح أن الابن بقدر ما يختلف عن العبد، بقدر ذلك صارت خدمة الابن أفضل من الخدمة التى يقدمها العبيد ·

اذن ، بعد أن ميز الرسول بين الخدمة قديما وبينها حديثا . فانه يقدم لليهود كاتبا وقائلا « صائرا أعظم من الملائكة بمثل هـذا المقدار » ، لهذا فانه لم يعقد مقارنة بينه وبين الكل (أى المخلوقات)، بقوله انه قد صار « أعظم » ، أو « أكثر كرامة » وذلك لكى لايظن أحد بخصوصه وخصوصهم ـ أنهم أبناء جنس واحد·بل قد قال انه « أفضل » وذلك لكى يكون معروفا ، اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة المخلوقات ·ولدينا الدليل على هذا من الكتب المقدسة · اذ يترنم داود قائلا « يوم واحد فى ديارك خير من ألف » (مز ٨٤ : ١٠)· أما سليمان فيهتف قائلا : « خذوا تأديبى لا الفضة · والمعرفة أكثر من الذهب المختار · لان الحكمة خير من الاحجار الكريمة،وكل مادة ثمينة لا تساويها » (ام ٨ : ١٠ ، ١١) ·

لانه كيف لا تكون الحكمة والاحجار المستخرجة من الارض ، مختلفة فى جوهرها ، وهى بطبيعتها شىء آخر ؟ وأية علاقة توجد بين الديار السماوية ، وبين المساكن التى على الارض ؟ أم ما وجه

التشابه بين الابديات والروحيات ، وبين الامور الوقتية والفانية ؟ لان هذا هو المعنى الذى يقوله اشعياء « هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى · انى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى موضعا ذائع الصيت ، أفضل من البنين والبنات ، وسأعطيهم اسما أبديا ، ولن ينقطع » (أش ٥٦ : ٤ ، ٥) ·

اذن ، فلذلك فليست هناك علاقة قرابة بين الابن والملائكة ، وما دامت ليست هناك علاقة ـ فلهذا فان كلمة « أفضل » لا تذكر للمقارنة ، بل بحصافة وفطنة بسبب اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة الملائكة · ونفس الرسول هو الذى فسر كلمة « أفضل » قائلا ان هذا لا يكمن فى شىء آخر بل فى الفرق بين الابن والمخلوقات ، كمن يقول ان هذا هو الابن ، بينما المخلوقات هم العبيد · وكما أن الابن هو مع الآب « جالس عن يمينه » ، هكذا فان العبيد يظهرون أمامه ، « ويرسلون (ضمه على الياء) ويخدمون » ·

٥٦ ـ وبما أن هذه الاقوال مكتوبة هكذا ، أيها الاريوسيون ، فانه يستدل منها أن الابن ليس مخلوقا ، بل بالاحرى هو كائن آخر غير كل المخلوقات · فهو ابن ذاتى للآب كائن فى أحضانه · لان ما هو مكتوب أيضا : « صائرا » لا يعنى أن الابن مخلوق مثلما تظنون أنتم · لانه لو كان قد قيل ببساطة « صائرا » ، وسكت ، لكان لدى الآريوسيين عذر ، حيث انه قد تكلم من قبل عن الابن موضحا من خلال كل الفقرة انه كائن آخر غير المخلوقات ، لهذا لم يدون « صائرا » بمعنى مطلق ، بل ربط « أعظم » بـ « صائرا » لانه اعتبر أن هذا القول ليس مختلفا ، عالما أن من يقول « صائرا » عن من يعترف (بضم الياء) به انه ابن ذاتى ، كمن يقول عنه أنه قد صنع ، وأنه « أعظم » · ذلك لان المولود لا يتغير ، حتى وان قيل عنه انه قد صار ، أو أنه قد صنع ·

أما المخلوقات فلانها مخلوقة ، فمن المستحيل أن يقال عنها انها مولوده ، الا فيما بعد · أى بعـد خلقتها ، حينما تشترك فى الابن المولود · وفى هذه الحالة يقولون عنها أيضا أنها قد ولدت ، ليس بسبب طبيعتها الذاتية ، بل بسبب مشاركتها للابن ، فى الروح · وهذا أيضا تعترف به الكتب الالهية ، التى تقول عن المخلوقات « كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء » (يو ١ : ٣) ، « وكل اعمالك بحكمة صنعت » (مز ١٠٤ : ٢٤) · أما عن الابناء المولودين فيقول : « ولد لايوب سبعة بنين وثلاث بنات » (أيوب ١ : ٢) . « وكان لابراهيم مئة سنة عندما ولد له اسحق ابنه » (تك ٢١ : ٥) أما موسى فقال : « ان ولد بنون لاى شخص » (أنظر خر ٢١ : ٤) لذلك فان كان مختلفا عن المخلوقات ، وهو المولود الوحيد الذاتى لجـوهر الآب ، فقـد أحبط ادعاء الاريوسيين بخصـوص لفظـة « صائرا » ·

لانه ، وان كان على الرغم من خجلهم بسبب احباطهم فانهـم يضطرون أن يقـولوا ، أن الكلمات قد قيلت على سـبيل المقارنة ، ولهذا فان الاقوال المقارنة هى من نفس النوع ، حتى ان الابن يكون من نفس طبيعة الملائكة ، فهم سيقعون فى العار مقدما لانهم يحاكون ويؤكـدون تعـاليم فالنتينـوس وكاربوكراتوس (٧٥) وغيـرهما من الهرطقة ·

---

(٧٥) فالنتينوس هو الممثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مدهبه أن العالم نشأ من الاله الاعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الالهـة الوسطاء ـ أى الدهور · وقد وصلت الينا أخبار هـذه الهرطقة أساسا من ايريناوس وهيبوليتوس ·

أما كاربوكراتوس : فقـد كان فيلسـوفا من الاسـكندرية تأثـر كثيـرا بأفلاطون أكثر من غيره من الغنوسيين ، وكان يعلم بأن الله غير المولود هو أبو الملائكة والارواح ، وبعض من هؤلاء الملائكة هم خالقوا العالم ـ وبحسب مذهبه ولد يسوع ابنا طبيعيا من مريم ويوسف رغم أنه أكثر برا من كل البشر ·

فالاول منهما قال أن الملائكة من نفس طبيعة المسيح . أما كاربوكراتوس فيقول ان الملائكة هم الذين خلقوا العالم · فربما تعلموا منهم أيضا أن يقارنوا « كلمة الله » بالملائكة ·

٥٧ ـ ولكنهم بتخيلهم مثل هذه الامور ، فان المرنم يخجلهم بقوله « من يكون شبيها بالرب من بين أبناء الله » (مز ٨٩ : ٦). « من يشبهك بين الالهة يا رب ؟ » (٨٦ : ٨) · الا انهم ـ ان كانوا يريدون أن يعرفوا ـ سيسمعون الجواب ، بأن الامور المتعلقة بالمقارنة انما تكون بين المتماثلين فى الجنس ، وليس بين غير المتجانسين ·

اذن ، فليس فى وسع أحد ، أن يقارن الله بالانسان · كما انه لا يمكنه مقارنة الانسان بالخيل ، ولا الاخشاب بالاحجار نظرا لعدم تشابه طبيعتهما · لكن الله هو جوهر لا نظير له ولا يقاس بغيره · اما الانسان فانه يقارن بانسان ، كما يقارن الخشب بالخشب ، والحجارة بالحجارة · وليس فى وسع أحد أن يستخدم قط عن هذه الاشياء كلمة « أعظم » بل يستعمل كلمات مثل « نوعا ما » ، و « أكثر » · فمثلا كان يوسف جميلا نوعا ما بين أخوته ، وراحيل أكثر جمالا من ليئه · وليس نجم « أفضل » من نجم ، ولكنه يختلف نوعا ما فى المجد (أنظر ١ كو ١٥ : ٤١) · أما فى حالة الاشياء غير المتشابهة · فعند مقارنة هذه الاشياء بعضها ببعض ، فعندئذ يقال « أفضل » عن الاشياء التى لها نوعية مغايرة · مثلما سبق أن قيل عن الحكمة والاحجار الكريمة ·

اذن فان كان الرسول قد قال « ان الابن أرقى بكثير من الملائكة» أو هو « أعظم بدرجة أكبر » لكان لكم العذر أن تقارنوا الابن بالملائكة· أما الآن فبقوله انه « أفضل » وأنه يختلف بدرجة كبيرة بقدر ما يختلف الابن عن العبيد ، فانه يبين انه مختلف عن طبيعةالملائكة·

ومرة أخرى ، عندما يقول انه هو « الذى أسس جميع الاشياء » (أنظر عب ١ : ١٠) · يبين أنه مختلف عن جميع المخلوقات · وبما أنه مختلف تماما فى جوهره عن طيعة المخلوقات ، فأى مقارنة أو مضاهاة لجوهرة يمكن أن توجد بالمقارنة مع المخلوقات ؟ لانهم ان استعادوا ـ الى ذاكرتهم من جديد شيئا من هذا ، فلا شك أن بولس سينفذها لهم عندما يقول : « لانه لمن من الملائكة قال قط· أنت أبنى وأنا اليوم ولدتك » (عب١ : ٥) · ويقول عن الملائكة « الصانع ملائكته أرواحا وخدامه لهيب نار » (عب ١ : ٧) ·

٥٨ ـ فهاهو ذا اذن يستخدم فعل « يصنع » عن المخلوقات ، وهو يقول عنها أنها مصنوعة · أما بخصوص الابن فلم يستخدم كلمة « صنع » ولا « صيرورة » بل يقول عنه انه « الابدى » و «الملك» « وكونه الخالق » ، عندما تكلم قائلا : « عرشك يا الله الى دهر الدهور » (عب ١ : ٨) ، « وأنت يا رب فى البدء أسست الارض، والسموات هى عمل يديك · وهى ستبيد ولكنك أنت ستبقى » (عب ١ : ١٠ ، ١١) · ومن هذه الكلمات يمكنهم أن يفهموا ـ ان كانوا يريدون ـ ان الخالق هو آخر غير المخلوقات ، أما المخلوقات فهى شىء آخر غيره ، وأنه هو الله · أما تلك المخلوقات فقد صنعت من العدم · لان ما يقوله هنا « هذه ستبيد » ،لم يقله لان الخليقة ستصير الى زوال ، بل لكى يبين طبيعة المخلوقات ، من النهاية التى ستؤول اليها » · لان تلك التى لها قابلية الهلاك ، حتى وان لمتكن هلكت بعد ـ بسبب فضل ذاك الذى خلقها ـ الا انها قد خلقت من العدم ـ مما يشهد بأن هذه الاشياء لم تكن موجودة يوما ما · من أجل هذا اذن ، حيث ان مثل هذه الاشياء لها مثل هذه الطبيعة فانه يقال عن الابن القول « أنت ستبقى » ، لكى تتضح أبديته · لانه حيث أنه ليس فيه امكانية الفناء ، كما يحدث للمخلوقات ـ بل له الدوام الى الابد ، فليس ملائما أن يقال عنه :

« لم يكن موجودا قبل أن يولد » · فانه هو نفسه الموجود دائمـا ، والدائم مع أبيه · وحتى لو لم يكن الرسول قد كتب هذا فى الرسالة الى العبرانيين الا أنه فى رسائله الاخرى ، بل كل الكتاب المقدس ، يحول دون تخيل مثل هذه التصورات عن « اللوغوس » · وحيث أن الرسول كتب هذا ، وكما قد اتضـح من قبل ، أن الابن هو مولود جوهر الآب ، وأنه هو الخالق ، وأن المخلوقات خلقت بواسطته ، وأنه هو أيضا « البهاء » ، « واللوغوس » « والصورة » ، « وحكمة الآب » · فى حين أن المخلوقات أحط من الثـالوث ، وهم يساعدون ويخدمون · ولذلك فان الابن مختلف فى النوع، ومختلف فى الجوهر، بالنسبة الى المخلوقات · وبالاحرى فانه هو من ذات جوهر الآب، ومن نفس طبيعته ·

لذلك فان الابن نفسه لم يقـل « أبى أفضل منى » حتى لا يظن أحـد أنه غريب عن طبيعـة الآب · بل قال « أعظـم منى » (يو ١٤ : ٢٨) ، ليس من جهة الحجم ولا من جهة الزمن ، بل بسبب ميلاده من أبيه ذاته ، فانه حتى عندما يقول « أعظم منى » أظهـر مرة أخرى انه من ذاتية جوهره (الذاتى) (*) ·

٥٩ ـ والرسول نفسه عندما قال « صـائرا أفضـل من الملائكة بمثل هذا المقدار » ، لم يقل هذا ليس لانه أراد أولا أن يقارن جوهر اللوغوس بالمخلوقات ـ لانه لا يوجد وجه للمقارنة ، أو بالاحرى فان الواحد منهما غير الآخر تماما · ولانه وهو يرى « حضـور اللوغوس التجسدى » الينا ، والتدبير الصائر منـه عندئذ ، فانه يوضح أن اللوغوس ليس مشابها للذين سبقوا أن جاءوا قبله ·

(★) فى مواضع أخرى من المقالات الاربعة فسر القديس أثنـاسيوس هـذه الآية وآيات أخرى مشـابهة بمعنى أن الآب أعظم من جسـد الابن · (المقالة ٣ : ٧) (المعرب) ·

وهذا لكى يوضح أنه بقدر ما يختلف هو (اللوغوس) بحسب الطبيعة عن الذين أرسلهم قبله ، بقدر ما كانت النعمة الصائرة منه وبه أفضل أعظم من خدمة الملائكة · لان العبيد كانوا مختصين فقط بالمطالبة بالثمار وليس أكثر (متى ٢١ : ٣٤) · أما الابن والسيد فكان يحق له أن يصفح عن ديونهم وأن يسلم الكرم الى آخرين ·

هذا اذن الذى يذكره الرسول بعد ذلك ، يوضح اختلاف الابن عن المخلوقات قائلا : « لذلك يجب أن نتنبه أكثر الى ما سمعناه حتى لا نبتعد عنه · لانه ان كانت الكلمة التى نطق بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال جزاء عادلا · فكيف ننجو ان اهملنا خلاصا هذا مقداره ؟ هذا الخلاص الذى بدأ الرب التحدث به ، ثم تثبت من الذين سمعوه » (عب ٢ : ١ ـ ٣) · فان كان الابن معدودا واحدا من المخلوقات ، لما كان أفضل منهم ، ولما اختص من يعصاه بأعظم قدر من العقاب بسببه · لانه فى خدمة الملائكة لم يكن مسموحا لاى واحد منهم أن يتمكن من معاقبة المخالفين سواء بأكثر أو بأقل ، بل كانت الشريعة واحدة ، وكان الحكم واحدا بالنسبة الى المخالفين ·

ولكن حيث أن اللوغوس ليس معدودا بين المخلوقات بل هو ابن الآب ، لذلك فبقدر ما كان هو أفضل ، كلما كانت الاعمال الخارجة منه ، أفضل ومغايرة ، وكلما وجب أن تكون العقوبة أشد · اذن دعهم ينتظرون النعمة الممنوحة عن طريق الابن ، وليدركوا هذا المشهود له بواسطة الاعمال انه مختلف عن المخلوقات، وأنه وحده الابن الحقيقى الذى فى الآب ، والآب فيه ·

والشريعة نطق بها بواسطة ملائكة ، وهى لم تكمل أحدا ، بسبب احتياجنا الى مجىء اللوغوس الينا مثلما قال بولس (أنظر عب ٧ : ١٩) · أما مجىء اللوغوس فقد أكمل عمل الآب · (يو

١٧ : ٤) وفى ذلك الوقت كان « الموت قد ملك من آدم الى موسى » (رو ٥ : ١٤) أما حضور اللوغوس فقد « ابطل الموت » (٢ تى ١ : ١٠) ولم نعد بعد « نموت جميعا فى آدم . بل فى المسيح سيحيا (بضم الياء الاولى) الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) وعندئذ كان ينادى بالشريعة من دان الى بئر سبع . « وكان الله معروفا فى اليهودية » (مز ٧٦ : ١) وحدها · أما الآن فقد « خرج صوتهم الى كل الارض » (مز ١٩ : ٤) ، « وقد امتلأت الارض من معرفة الله » (اش ١١ : ٩) · « والتلاميذ تلمذوا كل الامم » (متى ٢٨ : ١٩) · واليوم تم المكتوب « ويكون الجميع متعلمين من الله» (يو ٦ : ٤٥ ، اش ٥٤ : ١٣) ·

وفى ذلك الوقت كانت تلك الشواهد مجرد مثال ، أما الآن فقد ظهرت الحقيقة نفسها · وهذا يفسره الرسول مرة أخرى بعد ذلك بشكل أوضح عندما يقول : « على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا كعهد أفضل » (عب ٧ : ٢٢) ومرة أخرى يقول « ولكن يسوع الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل قد تثبت على تعهدات أفضل » (عب ٨ : ٦) ، و « لان الناموس لم يكمل شيئا · ولكن يصير ادخال رجاء أفضل » (عب ٧ : ١٩) ويقول مرة أخرى « فكان يلزم أن امثلة الاشياء التى فى السموات تطهر بهذه الاساليب ، أما السماويات عينها فانها تطهر بذبائح أفضل من هذه » (عب ٩ : ٢٣) · والآن اذن ، فان كلمة « أفضل » تشير كلية الى الرب ، الذى هو أفضل من سائر المخلوقات،ومميزا عنها · ذلك لان ذبيحته أفضل ، والرجاء فيه أفضل · والوعود المعطاة بواسطته ـ ليست لمجرد مقارنتها كعظيمة أمام اخرىصغيرة، بل لكونها مختلفة عن الاخرى بحسب طبيعتها · لان مدبر هذه الامور هو « أفضل » من المخلوقات ·

٦٠ ـ وأيضا قوله « قد صار ضامنا » ، أى الضمانة المعطاة منه لاجلنا · لان اللوغوس قد « صار جسدا » ، فاننا نعتبر

« الصيرورة » انها تشير الى الجسد ، لان « الجسد مخلوق وهو مصنوع » · وهكذا أيضا كلمة « قد صار » فاننا نفسرها بحسب مدلوها الثانى ، وذلك بسبب صيرورته انسانا · وعلى المعارضين أن يعرفوا أنهم ينزلقون بسبب سوء نيتهم هذه

وليعرفوا اذن أن بولس الذى عرفه « كابن » « وحكمه » «وبهاء» « وصورة » الآب . لم يقصد أن جوهر « اللوغوس » قد « صار » بل تعتبر « الصيرورة » هنا لخدمة ذلك العهد الذى كان فيه الموت سائدا يوما ، وهو قد أبطل هذا الموت ·

وبحسب هذا فان الخدمة من خلاله قد صارت أفضل ، اذ أيضا « لان ما كان الناموس عاجزا عنه حينما كان ضعيفا من ناحية الجسد ، فالله اذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة ولاجل الخطيئة دان الخطيئة فى الجسد » (رو ٨ : ٣) نازعا الخطيئة من الجسد ، الذى كان أسيرا لها على الدوام لدرجة أنه لم يستوعب الفكر الالهى · واذ جعل الجسد قادرا على تقبل « اللوغوس » فانه خلقنا حتى « لا نسلك بعد بحسب الجسد بل بحسب الروح » ، ونقول ونكرر نحن « لسنا فى الجسد بل فى الروح » (رو ٨ : ٩) ، وان ابن الله جاء « الى العالم لا لكى يدين العالم » بل لكى يفدى الجميع « ويخلص به العالم » (يو ٣ : ١٧) · لانه سابقا اذ كان العالم ـ كمسئول ـ وكان يدان بواسطة الناموس · أما الآن فان اللوغوس أخذ الدينونة على نفسه ، وبتألمه لاجل الجميع بالجسد ، وهب الخلاص للجميع · هذا ما رآه يوحنا فصاح قائلا « الناموس بموسى أعطى · أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ١٧) · فالنعمة أفضل من الناموس ، والحقيقة أفضل من الظل ·

٦١ ـ اذن ، فان « الافضل» ـ كما سبق أن قيل ، لم يكن ممكنا أن يصير بواسطة أى شخص آخر بل بواسطة الابن « الجالس عن

يمين أبيه » · وما الذى يعنيه هذا سوى اصالة الابن وان ألوهيـة الآب هذه انما هى ألوهية الابن ؟

فان الابن وهو مالك ملكوت الآب ، فانه يجلس فى ذات العرش مع الآب ، ونراه مرتبطا بألوهية الآب · اذن فاللوغوس هو الله . و « الذى يرى الابن يرى الآب » (يو ١٤ : ٩) · وهكذا فهو اله واحـــــد ·

اذن فبجلوس الابن عن اليمين ، لايعنى بذلك ان الآب على يساره بل يعنى أن ما يكون يمينا وكريما فى الآب ، فهذا أيضا يكون للابن· وهو يقول « كل ما هو للآب فهو لى » (يو ١٦ : ١٥) · ولذا فان الابن وهو جالس على اليمين يرى الآب نفسه على اليمين ، بالرغم من أنه بصيرورته انسانا يقول « انى أرى الرب أمامى فى كل حين، انه عن يمينى لكى لا أتزعزع » (مز ١٦ : ٨) · وهـذا يوضـح أيضا ان الابن فى الآب ، والآب فى الابن (أنظـر يو ١٤ : ١٠) ولكون الآب على اليمين يكون الابن على اليمين ، ومثلما يجلس الابن على اليمين يكون الآب فى الابن · والمـلائكة يخـدمون صـاعدين ونازلين ·

أما عن الابن فيقول « ولتسجد له كل ملائكة الله » (عب ١:٦) · وعندما تقوم الملائكة بالخدمة يقولون « أرسلت (بضم الالف) اليك» (لو ١ : ١٩) ، «الرب قد أوصى » (أنظر مز ٩١ : ١١) ·

أما الابن فانه يقـول وهـو فى الصـورة البشرية : « الآب قد أرسلنى » (يو ٥ : ٣٦) وأنه « أتى لكى يعمل » (يو ٥ : ٣٦) ولكى « يخدم » (يو ٥ : ٣٦) الا أنه لكونه «اللوغوس» «والصورة» يقول « أنا فى الآب والآب فى » (يو ١٤ : ١٠) ، « ومن رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) « والآب الحـال فى هو الذى يعمـل الاعمـال » (يو ١٤ : ١٠) · لان الاشـياء التى نراهـا فى تلك

الصورة ، فهذه هى أعمال الآب · ان ما سبق ان قيل كان ينبغى أن يخجل الذى يصارعون ضد الحق ، ولكن ان كانوا بسبب ما كتب « صائرا أفضل » يرفضون أن يفهموا أن « صائرا » انما تقال عن الابن فى حالة صيرورته انسانا ، أو تقال عنه بسبب الخدمة الافضل التى صارت بالتجسد ، كما قلنا ، بل يفهمون بهذه العبارة أن اللوغوس مخلوق ، فليسمعوا مرة أخرى بايجاز هذه الاقوال،لانهم قد نسوا ما كان قد قيل ·

٦٢ ـ لانه لو كان الابن يحسب من بين الملائكة ، واستعملت كلمة « صائرا » عنه كما عن الملائكة ، وان كان لا يختلف عنهم فى شىء بحسب الطبيعة : ففى هذه الحالة ، اما أن يكون الملائكة جميعا أبناء ، أو يكون هو ملاكا ، وهكذا فاما أن الجميع يجلسون عن يمين الآب ، أو أن يقف الابن مع الملائكة « كأحد الارواح الخادمة المرسلة للخدمة » (عب ١ : ١٤) مثله مثل الملائكة ·

ولكن من الجهة الاخرى ، ان كان بولس قد ميز بين الابن والمخلوقات قائلا « لانه لمن من الملائكة قال قط أنت أبنى » (عب١ : ٥)· لان الابن قد خلق السماء والارض ، أما الملائكة فانهم قد خلقوا بواسطته ، هو يجلس مع الآب ، أم هم فيقفون ويخدمون ، فلمن لايكون واضحا انه لم يستعمل « صائرا » عن جوهر اللوغوس ، بل عن الخدمة الصائرة منه ؟ ·

فكما انه لانه « اللوغوس » قد « صار جسدا » ، فانه حينما صار انسانا ، فانه فى خدمته « قد صار أفضل بمثل هذا القدر » من الخدمة الصائرة من الملائكة · وبقدر ما يختلف الابن عن العبيد، والخالق عن المخلوقات هكذا فليكفوا عن اعتبار كلمة « صائرا » انها عن جوهر الابن ، لان الابن ليس من بين المخلوقات ، وليعلموا أن « صائرا » انما تشير الى خدمته ، والتدبير الذى صار فعلا ·

أما كيف قد صار أفضل فى الخدمة ، اذ هو الافضل بالطبيعة عن المخلـوقات فهـذا يثبت مما سـبق أن قلنـاه ، وأعتقد انه يكفى لتخجيلهم · ولـكنهم ان استمروا فى انكارهم ، ففى هـذه الحالة يكون من المناسب أن نقاوم جسارتهم المتهورة ، ونعارض أولئـك بنفس الاقوال التى قيلت عن الآب ذاته · وهذا يؤدى امالى تخجيلهم لكى يكفوا ألسنتهم عن الشر ، واما ان يعرفوا الى أى مدى سحيق وصـل جنونهم ·

انه مكتوب «لتكن لى اله معين ، وبيت احتمى به لكي تخلصنى» (مز ٣١ : ٢) وأيضا « صار الرب ملجأ للمعدم » (مز ٩ : ٩) وغيرها كثير مثلها فى الكتب المقدسة · فان كانوا يقولون ان هـذه الاقوال قد كتبت عن الابن وهو المحتمل أن يكون هكذا حقا ، فيجب عليهم أن يعرفوا بأن القديسين يطلبون اليه بالحاح أن يكون معينا لهم وبيت احتماء ، لانه ليس بمخلـوق · ولذلك فان « صـائرا » « وصنع » ولفظ « قنى » من الواجب فهمها أنها تشير الى حضورد المتجسد ، لانه بتجسده قد « صار معينا » ، « وبيت حماية » عندما « حمل خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط ٢ : ٢٤) ، وهو الذى قال « تعالوا الى ياجميـع المتعبين والثقيلى الاحمال ، وأنا اريحكم » (متى ١١ : ٢٨) ·

٦٣ ـ الا أنهم ان قالوا أن هذه الاقوال انما هى عن الآب ، فهل سيحاولون أن يقولوا ان الله مخلوق بسبب ما جاء فى هـذه الاقوال من عبـارات « لتـكن لى » أو « صـار الـرب » نعم أنهـم سيتجاسرون على ذلك مثلما يفكرون بنفس الافكار عن اللوغوس · لكن حاشا أن يأتى قط مثل هذا التفكير الى فكر أى واحد من المؤمنين فالابن ليس من بين المخلـوقات ، كما أن المكتوب هنـا « لتـكن » « وصار » لا يعنى بداية الوجـود ، بل يعنى المعـونة التى تعطى للمحتاجين اليها · لان الله هو هو دائما ،أما الناس فقد صـاروا

بعـد ذلك بواسـطة اللوغوس ، حينما أراد الآب ذاته · فان الله لا يرى ، ولا يمكن الدنو منه بالنسـبة الى المخلوقات ، وخاصـة بالنسبة للناس · اذن فعندما يتوسل الناس فى ضعفهم ، ويطلبون العون وهم مطاردون ، وعندما يصلون وهم مظلومون ، فان غير المنظور ـ لكونه محبـا للبشر ـ يظهر لهم بجـوده واحسانه الذى يقـدمه بواسطة وفى شـخص « كلمته » الذاتى · وحينئـذ تـكون علامات الظهور بحسب حاجة كل واحد فيظهر قويا للضعفاء ، ويظهر « ملجأ » للمطرودين ، « وبيت حماية » للمظلومين ، ويقول « بينما أنت تستغيث ، أقول هانذا انى حاضر بجوارك » (اش ٥٨ : ٩)·

فأن معونة تأتى لاى واحد بواسطة الابن ، فان ذلك الواحـد يقول أن الله قد « صار » له ، حيث أن المساعدة من الله قد صارت بواسطة اللوغوس وان عادة استعمال الناس تعرف هذا الامـر ، والجميع يعترفون بهذا ويتكلمون بالحق ·

وكثيرا ما أعطى البشر معونة لبشر مثلهم ، فهناك من يتعاطف مع المصاب مثلما فعل ابراهيم مع لوط (أنظر تك ١٤ : ١٣ ـ ١٦)· وهنـاك من فتح داره للمطرود ، كما فعـل عوبديا لبنى الانبيـاء (١ ملوك ١٨ : ٤) · وهناك من أراح الغريب ، مثلما أراح لوط الملائكة (أنظر تك ١٩ : ٣) ، وهناك من أعطى للمحتاجين ، مثلما أعطى أيوب للذين سألوه (أنظر أيوب ٢٩ : ١٥ ـ ١٦) فلو قال واحد من هؤلاء الذين نالوا المعونة : « مثـل هذا المعين قد صار لى » ولو قال آخر « صار لى ملجأ » ، ويقول آخر « قد صار واهب»، فانهم عنـدما يقولون لا يقصدون بداية وجـود المحسنين اليهم ، ولا جوهـرهم ، بل يقصـدون الاحسان الصـائر اليهم من أولئـك المحسنين · هكذا عندما يقول القديسون ، عن الله أنه « قد صار »، « ولتكن لى » فانهم لا يعنون أى بدء للوجود ، لان الله ليس لهبداية، وليس مخلوقا ، بل يقصدون الخلاص الذى صنعه هو للبشر ·

٦٤ ـ فان كانت الامور تفهم هكذا ، فانهم سيفهمون هكذا عن الابن أيضا ، حينما يقال « قد صار » و « لتكن » حتى انه حينما نسمع القول « صائرا » أفضل من الملائكة » (عب ١ : ٤) ، « وقد صار » ، فحاشا أن نفكر فى أية بداية لوجود اللوغوس ، ولا أن نتخيل أبدا من مثل هذه الافكار انه مخلوق · بل يجب أن نفهم ما يقوله بولس أنه يشير الى الخدمة والتدبير الخاص بصيرورته انسانا · لانه عندما « صار الكلمة جسدا وسكن فينا » (يو ١:١٤)، جاء « لكى يخدم » (متى ٢٠ : ٢٨) ، ولكى يهب للجميع خلاصا، وعندئذ صار لنا خلاصا ، وصار لنا حياة ، وصار فداء · عندئذ فان تدبيره من أجلنا « قد صار أفضل من الملائكة » · وصار طريقا، وصار قيامته ·

وكما أن القول « لتكن لى اله معين » (مز ٣١ : ٢) لا يشير الى صيرورة جوهر الله ذاته ، بل تشير الى محبته للبشر ، كما قيل ، هكذا الآن : « صائرا أفضل من الملائكة » و « صار » ، و «بقدر هذا قد صار يسوع ضامنا أفضل » (عب ٧ : ٢٢) ، لا تعنى أن جوهر اللوغوس مخلوق (حاشا) · بل يقصد الاحسان الصائر لنا بتأنسه ، رغم جحود الهراطقة ، ومشاغبتهم بسبب عدم تقواهم·

(تمت المقالة الاولى وتليه االثانية)

ملحـق :

الأريوســـية

للبروفسور ب٠ك خريســتو

أســتاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليــونان

ولد آريوس فى ليبيا بعد منتصف القرن الثالث بقليل ، ودرس بمدرسة لوكيانوس بأنطاكية حيث كان زميل دراسة لبعض الاشخاص الذين ارتقوا فيما بعد الى درجات الرئاسة الكهنوتية ، وهم الذين عضدوه ودفعوا به للمضى فى طريق الكفاح لأجل نشر أفكاره ٠

وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا فى مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون باسم « اللوكيانيين » أو « الاتحاد اللوكيانى » ٠ وهذا لايمنع أن آريوس درس أيضا فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية قبل دراسته بأنطاكية ٠

ويمكن أن يقال أن آريوس جمع فى تعليمه بين اتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والاسكندرية ٠ وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرســة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه سكندرى ، فى حين أن المنتمين الى مدرسة الاسكندرية كانوا يحاربونه متهمينه بأنه أنطاكى ٠

أستوطن آريوس فى الاسكندرية حيث رسمه الأسقف بطــرس كاهنا ٠٠ وأظهــر فى أول حياته ميــولا متعصبة متمردة لانه قبــل رسامته وبعدهاكان منضما للأسقف المنشق ميليتوسأسقف ليكوبوليس (أسيوط) ٠

ولهذا السبب جرد من رتبته الكهنوتية ، الا أنه فيما بعد أعيد مرة أخرى الى رتبته على يد الاسقف أخيلاس خليفة الاسقف بطرس٠ وما لبث أن عمل على تأييد انتخاب الكسندروس اسقفا للاسكندرية

خلفا لأخيلاس · وان كان أريوس نفسه قد أستطاع بتاثير ثقافته وصفاته الشخصية أن يصير ذو شأن كبير فى المدينة ·

الا أنه بعد بضعة سنوات (حوالى عام ٣١٨ م) اصطدم مع الكسندروس بسبب الاختلاف حول تفسير نص فى الكتاب المقدس خاص بشخص ابن الله · وكان الكسندروس قد أعطاه ـ كما اعتاد الاسقف أن يفعل مع الكهنة ـ موضوعا ليبحثه · وفى الشرح الذى قدمه آريوس حاول أن يعبر عن ابن الله بمفاهيم مخالفة للايمان المستقيم ·

رأى الكسندروس فى تقرير آريوس محاولة للتقليل من شأن ابن الله وتحقيره ··· وأثبتت الاتصالات بين الرجلين على أن آريوس أصر على رأيه وأعتبر أفكار الكسندروس أنها سابيلية (١) · وبالرغم من هذا فان الاسقف لم يتعجل فى اتخاذ أى اجراء ضد كاهنه ، الا أنه فيما بعد أضطر الاسقف أن يتخذ قرارا من مجمع قسوس الكنيسة، أدان فيه آريوس بسبب بدعته وقطعه من شركة الكنيسة ·

رحل آريوس الى فلسطين ثم اتجه الى سوريا فآسيا الصغرى · وتمكن من أن يجمع حوله عدد من الاساقفة وافقوه على آرائه · وكان من بين هؤلاء « أوسابيوس أسقف نيقوميديا » اللوكيانى ، « وأوسانيوس أسقف قيصرية » الاوريجانى · وكان الاساقفة الذين

---

(١) نسبة الى سابيليوس صاحبة البدعة السابيلية المعروفة باسمه ، والذى ظهر فى روما أوائل القرن الثالث · والسابيلية تعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم · فتقول : أن الآب أعطى الناموس فى العهد القديم ، ثم ظهر هو نفسه باسم الابن فى التجسد ، وبعد أن اختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس · أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية فى التاريخ لشخص واحد ، وليس ثيثة أقانيم لهم جوهر واحد (المعرب) ·

تجمعوا حوله قد أيدوه وبرأوه فى مجمع عقدوه ، وطالبوا بأن يعود مرة أخرى الى الكنيسة ·· وسرعان ما كتب آريوس اقرارا وافقوا عليه فى مجمع عقدوه فى نيقوميديا ، وأرسله كرسالة الى أسقف الاسكندرية الذى رفضه ، ودعا بالطبع الى مجمع بالاسكندرية سنة ٣١٨ م اعتمد ادانة آريوس ·

وبعد ذلك بقليل ، بسبب الاضطرابات التى نشأت نتيجة للمصادمات التى وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس ، تمكن آريوس من العودة مرة أخرى الى الاسكندرية ، حيث أخذ بعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لاجل ترويج آرائه ونشرها بين الجماهير عن طريق الاحاديث والاشعار ··· وقد ساعد على نشر أريوسيته ما كان يظهر به آريوس من مظاهر الورع والتقوى الىجانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهى وحبه للنضال ·· وكان يجرى مباحثاته اللاهوتية مع الشعب · فانتهز الوثنيون تلك الفرصة وأخذوا يسخرون منالمسيحية فى مسارحهم بسببتلك المناقشات(٢)·

وهكذا أثار هذا الموقف قلق قادة الكنيسة ، كما أزعج الامبراطور أيضا ، الذى رأى أن هذه المشاكل ستكون خطرا على السلام الذى حققه بجهود مضنية وكفاح مرير ولكنه لم يتوقع أن تكون خطرا على السلام على المدى البعيد · لذلك فهو اذ رأى أن هذه المعركة تبدو أمرا تافها لا يستحق أن يصدر له نطقا ساميا ، فاكتفى بأن أرسل « هوسيوس » أسقف قرطبة بأسبانيا الى الاسكندرية بخطاب الى رؤساء الاطراف المتنازعة (٣) · ولكن هذه المحاولة لم تأت بأية

---

(٢) أنظر « حياة قسطنطين لاوسابيوس المؤرخ » (٢ : ٦١) ، والتاريخ الكنسى لسقراط (١ : ٧) ·

(٣) أوسابيوس فى حياة قسطنطين (٢ : ٦٤) ·

نتيجة ، عندئذ دعا الامبراطور الى مجمع عام يعقد فى نيقية عـام ٣٢٥ والذى اشتهر باسم « المجمع المسكونى الاول » ...

وقد أدان هذا المجمع تعاليم آريوس وحـرم أسقف نيقوميدية مع ثلاثة أساقفة آخرين لتأييدهم لتعاليم آريوس . أما آريوس فانه فى البدء أرسل الى نيقوميديا مكبلا بالقيود ، ثم نفى بعد ذلك الى الليريا ... الا أنه على الرغم من هذه التدابير فان هذه المحـاولة للتهدئة لم تنجح ، لان اصـدقاء آريوس استمروا فى نشر مبـادئه وتعاليمه ... ولذا اقتنع قسطنطين ـ بواسطة العناصر المهـادنة للاريوسية والمحبة لها ، وتأثر بهم ، مما جعله يستدعى آريوس من منفاه عـام ٣٢٧ . وبعـد تحـريض من اسقف نيقوميديا عرضوا صيغة اعتراف ايمان على الامبراطور أخفوا عنه فيها ، حقيقة عقيدة آريوس ،وكانت كنيسة نيقوميديا قد وافقت على هذه الصيغة فى المجمع الذى عقد بها . الا أن الارثوذكسيين لم يجبروا على منح آريوس العفو ، حتى أن الكسندروس أسقف الاسكندرية واثناسيوس الذى خلفه لم يقبلاه فى الاسكندرية .

ولم يرغب قسطنطين حينئذ أن يؤزم المسـائل أكثر بأن يفرض على أسقف الاسكندرية ـ بأن يقبل آريوس . بل انه فى الواقـع عندما طلب أنصار آريوس من الامبراطور ـ برسالة محررة بلهجة شديدة ـ أن يتدخل لاجـل تأمين عودة آريوس الى الاسكندرية ، غضب قسطنطين وأعـاد ادانتهم بمرسـوم آخـر أسـماهم فيـه « بالبورفوريين » أى أنهم مشايعون لتعليم « بورفيريوس » (٤) .

وبعد وساطات متعددة غيروا مرة أخرى من مشاعر قسطنطين

---

(٤) التـاريخ الكنسى لسقراط (١ : ٩) بوفيريوس هو أحد فلاسـفة « الافلاطونية الجديدة » الوثنيين قرب نهاية القرن الثالث . هاجم المسيحية بعنف وخاصة هاجم ألوهية المسيح (المعرب) .

ورحـــل آريوس الى القسطنطينية حيث اعترف بالايمان الارثوذكسى أمام الامبراطور وتمسك بأن يصير مقبولا بطريقة رسمية على نطاق أوســـع بالكنيسة · الا أن الأمـــر بتحديد موعد بقبـــوله فى كنيسة القسطنطينية قد تلاشى نهائيا ، اذ أن آريوس سقط ومات فى مرحاض عام فجأة ليلة الموعد المحدد لقبوله (٥) ·

مؤلفـــاته :

استحوذ آريوس على مـــركز هـــام فى التـــاريخ الكنسى ، لكنه لم يترك آثارا كثيرة ، فقد كتب أعمالا قليلة نسبيا وصلنا منها النذر اليسير · وهذه الكتابات التى وصلتنا عبارة عن رسائل خارجية ، الا أنها فى واقع الامر تحوى اعترافاته وهى :ـ

(أ) رسالة الى أسقف نيقوميدية :

وقد حفظها لنا ابيفانيوس فى كتابه « باناريون » (٦) ، وكذلك ثيئودوريتس فى كتابه « التاريخ الكنسى » (٧) · وفى هذه الرسالة يحتج على تحامل الكسندروس ضده وضد اتباعه ويعرض آراءه وتعاليمه فى صراحة تامة · ويقول أن الابن اله لكنه « ليس غيـــر مولود Agennitos » « ولا جزء من غير المولود » ،وفى النهاية يستنجد باوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميا اياه أنه من « الاتحاد اللوكيانى » ·

---

(٥) الرسالة الدورية الى الأساقفة بقلم أثناسيوس ١٨ : ٥ ·

(٦) باناريون معناها ســـلة الخير ·

(٧) التـــاريخ الكنسى لثيئـــودوريتس (١ : ٤) أنظـــر « باناريون » لابيفانيوس (٦٩ : ٦) ·

(ب) رسالة الى الكسندروس أسقف الاسكندرية :

حفظت هذه الرسالة فى أعمال « اثناسيوس عن المجامع » (٨)، وفى كتاب « باناريون » لابيفانيوس (٩) ، كما حفظت باللغه اللاتينية فى كتاب « الثالوث لايلارى » (١٠) · وهى الاعتراف الاجمالى الذى كان قد قدمه لمجمع نيقوميديا الاول والذى عقده الآريوسيون المنفيون ، وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة واعتبر أن « الابن قد ولد قبل كل الدهور » · الا أنه لم يكن موجوداً من قبل أن يولد ·

(ج) اعتراف الايمان :

حفظت هذه الرسالة فى التاريخ الكنسى لسقراط (١١) والتاريخ الكنسى لسوزومينوس (١٢) · وفى هذه الرسالة حجب عقيدته الحقيقية وقال بأن الابن قد ولد قبل كل الدهور (لانه لو كتبت كلمة gegennimenos المولود » بحذف حرف n منها أى gegenimenos لتغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود ·

(د) « ثاليا » :

حفظ اثناسيوس فى كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب (١٣)· وكلمة « ثاليا » معناها مأدبة أدبية · وقد دبجها كلها تقريبا بأبيات منظومة وبلحن نسائى ، وفى افتتاحيتها نجده يظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتعرض للحديث عن الله ··

---

(٨) « اثناسيوس عن المجامع » ١٦

(٩) « باناريون » لابيفانيوس (٢٩ : ٧) ·

(١٠) « ايلاريوس عن الثالوث » (٤ : ١٢ ، ٦ : ٥ هـ) ·

(١١) « التاريخ الكنسى لسقراط » (١ : ٢٦) ·

(١٢) التاريخ الكنسى لسوزومينوس » (٢ : ٢٧) ·

(١٣) اثناسيوس ضد الآريوسيين (١ : ٥ ـ ٦) ·

« بحسب ايمان مختارى الله ··· عارفى الله ···

أبناء قديسين ، ذوى التعاليم الشرعية الثابتة·· حاصلين على روح الله القدس ···

أنا نفسى تعلمت هذا ·· من حكمة المشاركين ·· السابقين ·· عارفى الله ··

حسب كل أقوال الحكماء ·· أتيت أنا مقتفيا أثر كل هؤلاء ··

وأنا ذو السمعة الحميدة ·· متمش بنفس العقيدة ··

ومتحمل كثيرا من أجل مجد الله ·· بنفس حكمة الله ··

وفيما عدا هذا ، يبـدو أنه كان لآريوس مجموعة أخـرى من الاشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة (١٤) ، (كما أشـار بذلك اثناسيوس) فى المجمـوعة التى تسمى « البحرية » ،« الرحى » ، « الرحـلة » ·· الخ ·

ووفقا لمـا يقوله أثناسـيوس فان كل هـذه القصائد قد دبجت بلهجة ونغمة داعرة مثل التى كان يكتب بها سوتيادوس أشـعاره القومية ·· كانوا يتغنون بها فى مآدبهم بضجيج صخب وعبث ··

تعـاليم آريوس :

لايتضح من تعاليم آريوس تناسقا فى كل ما وصلنا من نصوصه حيث أن بعضهـا كانت تخفى وراءهـا واقـع الامـر وحقيقته ، اذ كانت تعاليمه مضللة ·· ويبدو هذا جليا فى رسالته الى أسقف نيقوميدية ، وفى باقته الشعرية « ثاليا » · ولم تقتصر تعاليمه هذه

---

(١٤) أثناسيوس عن مجمع نيقية ١٦ ـ فيلوستورغيوس التاريخ الكنسى (٢ : ٢) ·

على مدرسة واحـــدة · كما قال كثيرون ــ أى أنها لم تنطلق لا عن وحـــدانية الله الكتابية التى أعتنقها الانطاكيون المتطـــرفون الذين اعتقـــدوا بأن الابن تهذب وتشكل بهبـــوط قوة الهيـــة مجردة على يسوع ·· ، كما أنها لم تنطلق عن فكرة الوحدانية التى أعتنقهـــا السكندريون المتطرفون الذين اعتقـــدوا بأن هذه الوحدانية الالهيـــة اتسعت لتحـــوى كل الموجودات الالهية ، بل هى نشـــأت عن فلسفة الوحدانية ، وحيث أن آريوس كان موحدا متطرفا فانه أراد أن يؤكد ان الله كان واحدا وأنه فى نفس الوقت متحول · ان حل وحدانية الله انما ســـيعنى تمييز الله الى آب وابن · أما حـــل التحول أنما سيكون بواسطة خليقة هذا العالم ، وهو أمر سىء فى كل الاحوال·

وبحسب هذه الافكار ، فان الله هو واحد ، غير مولود وحده، سرمدى وحده ، ليس له بداية وحـــده ، الحقيقى وحده ، الذى له الخلود وحده (١٥) · وبجانب الله ، لا يوجد كائن آخر ·· ولكن عن طريقه توجد قوة عامة (لا شخصية) هى « الحكمة والكلمة »·· وهذه التعـــاليم مأخـــوذة عن « الوحدانية المقتـــدرة » التى لبـــولس الساموساطى · ولـــكن فكره اللاهوتى يوضح اعتمادا أكثـــر على «المدافعين» ، وتأثيرات « الغنوسيين » · فبما أن الله كان واحدا فهو لم يكن أبا « الله لم يكن دائما أبا ، بل كان هناك وقت ما كان الله فيه وحده ، ولم يكن بعد أبا ، أما فيما بعد فقد صار آبا » ·

ولقد صار الله أبا عندما أراد أن يخلق العالم · عندئذ خـــلق كائنا واحدا ، هذا الكائن أسماه الابن ، ويسمى استعاريا الكلمة أو الحكمة ·

---

(١٥) آريوس فى رسالته الى الكسندروس وجدت فى كتاب اثناســيوس عن المجامع ١٦ ·

(١٦) « ثاليا » ، كما جـــاء فى كتابات اثناسيوس ضـــد الآريوسيين مقـــالة (١ : ٥) ·

اذن فحسب تعاليم آريوس توجد حكمتان :

١ ـ قوة الله الواحدة العـامة ٠

٢ ـ وكائن الهى ذاتى واحد ، وهذا الكائن هو الحكمة الثانية الذى جاء الى الوجود من العدم ٠ ومن ثم فهو مخلوق ٠ اذ يقـول « كلمة الله ذاته خلق من العدم ٠٠ وكان هناك وقت ما حينما لم يكن موجودا ، وقبل أن يصير لم يكن موجودا ٠٠ بل انه هو نفسه أول الخليقة لانه صار » ويقول أيضا « الله وحده كان وحده دون دون أن يكون هناك الكلمة والحكمة ٠٠ ومن بعد ذلك عندما أراد أن يخلقنا عنـدئذ بالضبـط خلق شخصا وهو الذى دعاه الكلمـة والابن ، وذلك كى يخلقنا بواسطته » (١٧) ، ولكى يؤيد تعاليمـه استخدم نصا خاصا اقتبسه من سفر الامثال : « الرب أقامنى أول طـرقه ٠٠ » (أم ٨ : ٢٢) ، وكان اوريجـانوس من قبـل قد تحدث عن « خضوع الابن » ، كما تحدث عن «ميلاد الكلمة الازلى»، وهنا أخذ آريوس الجـزء الاول فقط من تعاليم اوريجانوس ، وذلك عندما أضطر فيما بعد أن يقر « بالميـلاد قبل الدهور » مفسرا ذلك بأنه يعنى فقط الزمن الذى سبق خلقة العـالم ٠

فعند آريوس ، يبدأ هذا العالم بخلق الابن ، عندما بدأ الزمن أيضا أن يوجد ٠٠ والابن هو المولود الاول ومهندس الخليقة ٠٠ ومن المستحيل عنده أن يعتبر الابن اله كامل ٠ ويعتبر أن معرفته محدودة لانه لا يرى الآب ولا يعرفه ٠٠ والامر الاكثر أهمية أنه يمـكن أن يتحول ويتغير كما يتحول ويتغير البشر ٠٠ « وبحسب الطبيعة فانه مثل جميع الكائنات ، هكذا أيضا الكلمة ذاته قابل للتغيير والتحويل ولكن بنفس ارادته المطلقة ، طالمـا أنه يرغب فى أن يبقى صالحا ٠٠

---

(١٧) المرجـع السابق ٠

حينئذ عندما يريد فانه فى استطاعته هو أيضا أن يتحول مثلنا ، حيث أن طبيعته قابلة للتغير » (١٨) ٠

ان بولس الساموساطى استعمل اصطلاح « القدرة على الاكتمال الذى اتخذ منه آريوس كل تعبيراته ٠٠ وفقا لتعليمه وهو أن المسيح هو ظهور بسيط للكلمة فى انسان ، ومن ناحية أخرى فهو يعتبر انسان كامل فقط وليس اله كامل ٠٠ وبالتالى فان الابن يمكن أن يدعى الله استعاريا فقط ٠ وهو نفس الاسم الذى يمكن أن يدعى به البسطاء من الناس أيضا حينما يصلون الى درجة كاملة من الروحانية والاخلاق ٠٠ وهنا يتضح كل تعليم هرطقة « التبنى Adoptionism » عن المسيح ٠

النتيجة الاولى لهذا التعليم :

هو أن الايمان بالثالوث يتلاشى ويذوب ٠٠ بالطبع تحدث آريوس أيضا عن الثالوث الا انه اعتبره انه قد صدر متأخرا ولم يكن أصليا وأزليا ، لانه وفقا لتعليمه فان الآب وحده كان الها أزليا ٠

أما النتيجة الثانية :

فهى أن الحياة الجديدة للانسان التى صيغت كنتيجة لتأنس الكلمة ، لا تتكون نتيجة تأليه بل بواسطة سمو روحى وأخلاقى ٠٠ وبهذا يتمكن أى شخص أن يقول أن هذا الموقف قد اقتبسه آريوس من المدافعين (١٩) الذين وفقا للتقاليد نشأوا من مدارس فلسفية ، وكانوا قد اتخذوا موقفا مماثلا عن الحياة الجديدة ٠٠ الا أن موقف

---

(١٨) « ثاليا » كما جاء فى اثناسيوس ضد الآريوسيين مقالة ١ : ٥ ٠

(١٩) هم معلمى الكنيسة الذين قاموا بالدفاع عن المسيحية والمسيحيين أمام الأباطرة الوثنيين ، وأمام الفلسفات الوثنية المعاصرة وأحيانا ضد الهجمات اليهودية ، خلال القرنين الثانى والثالث ، ومن أشهر المدافعين يوستيتوس ، وتاتيان واتيناغوراس وأوريجانوس (المعرب) ٠

« المدافعين » يجد له مبررا بسبب العصر الذى عاشوا فيه والعالم الذى كانوا يتوجهون اليه بالحديث · أما فيما يتعلق بآريوس فان الموقف يظهر ركود أفكاره التى ولو أنها كانت حادة ، الا أنها خالية من الحركة والعمق ·

ونتيجة لتعاليم آريوس بقـوله أن كلمة الله مخلوق وقوله عن المسيح أنه انسان مؤله (بضم الميم وفتح الواو) ، بسبب كمـال روحى وخلقى ، هذه التعـاليم نجم عنها نزاع شديد زعزع أركان الكنيسة والدولة الرومانية ·· ان البدعة الآريوسية لم يتم تنظيمها بطريقة سرية مثل غيرها من البدع والهرطقات ، بل دخل فى صفوفها رجال رسميين فى الكنيسة وفى الدولة · وهددت بالاسـتيلاء على التنظيم الكنسى بأكمله ·· وقد استمرت المصالحة السياسية التى تبعت ذلك حتى موت آريوس وقسطنطين بدون أن تكون على حساب قرارات مجمـع نيقية ـ وذلك عن طـريق تفسيرهم المتباين والمؤول بطريقة يشوبها الالتباس ·· الا أن تعاليمهم لم تأت بنتائج ، وذلك لان زعماء الارثوذكسية لم يقبلوا آريوس فى الكنيسة وذلك بسبب اعترافاته المشـتبه فيها ·· حقا انه أثناء هـذه الفترة لوحظ تقـدم ملحوظ فى الحركة التى قادت أيضا الى تفوق طفيف للأريوسية ، وفى الواقع ان الاريوسيين ـ بواسطة سلسلة المجامع التى أشرفوا عليها بأنفسهم ـ نجحوا فى تنحية وابعـاد الرؤساء من خصومهم باتهامات باطلة واهية · وهؤلاء الرؤساء هم اوستاتيوس الانطاكى عـام ٣٣٠ م ، واثناسيوس الاسكندرى عـام ٣٣٥ م ، وماركيلوس الانقيزى عـام ٣٣٦ م ·

ساءت الاحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير ، لان حاكم الشرق قسطنديوس ، فرض الاريوسية على المناطق التى كان يحكمها ·· أما بعد وفاة أخيه قسطنس عـام ٣٥٠ م ، فقد فرضها على جميـع أنحاء الامبراطورية ·· وسحق هذا الحاكم نشاط معارضيه ومقاوميه

الارثوذكسيين وانشغل باحلال أساقفة آريوسيين بدلا من الاساقفة الشرعيين فى أهم مراكز الشرق وبعض جهات الغرب ·

وبعد وفاة قسطنديوس انهار فجأة بناء الاريوسيين الشامخ · لان يوليانوس الذى كان يدين بالعقيدة الوثنية عامل جميع المذاهب المسيحية معاملة متساوية ، وعندئذ عاد المنفيون الى أماكنهم ، وبدأت الارثوذكسية فى اعادة تنظيم شملها ، مما جعلها تسود وتنتصر · وقد وصلت الى أكبر درجة من السيادة أثناء حكم الامبراطور الارثوذكسى يوفيانوس ···

الفرق الآريوسية :

كان البناء الآريوسى فى عهد قسطنديوس على الاقل ، يبدو عظيما فى الظاهر ·· الا أنه كان من البدء عملا مزعزعا ، وذلك ليس فقط لانه حصل على قوته من عناصر كنسية منشقة ، ولكن أيضا لان اتجاهه اللاهوتى لم يكن متحدا ·· فان جميع الاريوسيين رفضوا اصطلاحات مجمع نيقية ·· ولكن ليس لاجل الاسباب دائما ·· لذا فان الخلافات فيما بينهم انكشفت وتحددت عند كثيرين منهم عن طريق موقفهم من اصطلاحات هذا المجمع ·

ولقد استخدم آباء مجمع نيقية فى قانون الايمان اصطلاح ؛ « ὁμοούσιος هومو أوسيوس » أى « الواحد فى الجوهر مع ·· أو المساوى فى الجوهر لـ ·· » ، وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب هما واحد ، وأن هذا الجوهر هو كيان أساسى واحد ·· وأضاف نفس الآباء بعد قانون الايمان ـ بسبب المحرومين ـ نصا قالوا فيه بأن الابن « ليس من هيبوستاسيس ὑπόστασις آخر » أى « ليس من جوهر آخر » ·· وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الاول الاريوسيين المتشددين ، أما الاصطلاح الثانى فقد أغضب الاريوسيين المعتدلين ··

(أو انصاف الاريوسيين Semi-arians) ويبدو أن القانون دبجه لاهوتى غربى من المحتمل أن يكون « هوسيوس » أسقف قرطبة · وكلمة « Hypostasis » (٢٠) « هيبوستاسيس » فيه هى ترجمة للكلمة اللاتينية « Substantia » الا أنه فى الغرب ـ نظرا لعجزاللغة اللاتينية حيثكانت كلمة Substantia تعنى كلا من « اوسيا » Oucia أى الجوهر أو الكيان ، وكلمة «هيبوستاسيس » Hypostasis أى القوام أو الاقنوم · لذا أوضح آباء نيقية وحدة وتشابه هذين الاصطلاحين لانهم كانوا يخشون لو انهم اعترفوا باثنين هيبوستاسيس (أى قوامين) ـ أن يتهموا بأنهم يقبلونالاعتراف بجوهرين أى يكونوا مثلالاريوسيين ·

١ ـ الاريوسيون المعتدلون :

كان الاريوسيون المعتدلون (Semi-Arians) أوريجانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس ، وهم الذين قبلوا بتعاطف وعن رضى تعليما واحدا يرتكز على النظرية الاوريجانية الخاصة بخضوع الابن ، هؤلاء أصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن·· ورفضوا أيضا اصطلاحى مجمع نيقيا وأعتبروهما سابيليان ·· ولانهما لم يردا بين نصوص الانجيل ·· الا أنهم كانوا على استعداد لقبول معنى « التساوى فى الجوهر omooucios » لكن بتعبير مخالف ·· لهذا تمسكوا بالتعبير « مماثل للآب فى كل شىء » (٢١)·

---

(٢٠) كلمة « هيبوستاسيس Hyposasis » اليونانية تعنى : القوام ، أو الأساس ـ أو ما يقف عليه الشىء ـ ، الدعامة ، أو طبيعة الشىء، أو الشخص ، أو أقنوم (المعرب) ·

(٢١) أوسابيوس : رسالة الى كنيسته فى كتاب « التاريخ الكنسى لسقراط » ·

وبعد موت أوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقيرا وجورجيوس اللاوديكى بتنظيمهم ، وتميزوا بوضوح أكثر من الاريوسيين الآخرين، وذلك فى مجمع ميديولانوس عـام ٣٥٥ م ، حيث أنهم قبلوا « تماثل الجوهر » أو التشابه فى الجوهر ὅμοιουσιος «هوميوأوسيوس»، الامر الذى من أجـله أطلق عليهم اسـم « هوميوأوسيين » وكانوا يختلفون عن القائلين « بالتساوى فى الجوهر » أى «الهوموأوسيين» قليلا ، ولذلك أطلق على النزاع بينهم أنه نزاع على لا شىء ٠

٢ ـ الآريوسيون المتشددون :

هؤلاء كانوا على عكس المعتـدلين ، وهؤلاء المتشددون كانوا قد نشأوا عن اللوكيانيين الذين قبلوا تعليم « بدعة التبنى » ٠٠ وكان يرأسهم فى البدء أوسابيوس النيقوميدى ، وفيما بعـد أوسابيوس القسطنطينى ، وهذا الفريق تشدد فى الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر ٠٠ وان كانوا أحيانا يخفون آراءهم لاسباب تنظيمية ، الا أنهم كانوا متشددين ٠٠ وبعد موت أوسابيوس هذا فى عـام ٣٤١ ، برز بين صفوفهم « ايتيوس » الانطاكى الذى اندفـع الى تعليـم آريوس الأشد تطرفا من أجل تكوين فريق آريوسى جديد ، وهذا الفريق الجديد تشـكل بطريقة أكثر تنسيقا على يد تلميـذه « يونوميوس » ٠ ان المنتمين الى هذا الفريق وضعوا مناهج وأساليب متكاملة٠٠وتدخلوا بفكرهم ليفحصوا جوهر كل الكائنات ، بما فيها الله أيضا ٠٠ وزعموا أن جوهر الله هو فى عدم الولادة ، أما جوهر الابن فهو فى كونه مولود ٠٠ ومن ثم فان جـوهرى الآب والابن ليسـا فقط لم يكونا شبيهين بل نقيضين تماما ٠٠ ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب بفرادة خاصة وحده ، اعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقـط بدلا من ثلاثة عطسات ٠

٣ ـ بسبب التبـاين بينهم ، تشكل فـريق ثالث بايحـاء من الامبراطور قسطنديوس ، هو فريق « الاوميويين » أى (الشبيهيين) وهؤلاء استخدموا الاصطلاح « اوميوس OMIOS » (أى شبيـه أو مثيل) ، الا أنهم لم يكن لهم لاهوتهم الخاص ٠٠ بل ـ بحسب الظـروف ـ كانوا ينحازون لفـريق أو لآخـر ٠ وقد أدى ذلك الى اضفاء تفسيرين على كلمة « أوميوس OMIOS » فصار من الممكن أن تعنى اما « تشابه الجوهر » أو تشابه المشيئة ٠٠ وأتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى ، وأوالتتاس المورصى ٠٠ ، وكذلك أكاكيوس القيصرى، وهؤلاء فرضوا وجهات نظرهم فى المجمع الذى انعقد فى سرميوس عـام ٣٥٩ م ٠

مواجهـة الاريوسـية :

هـز الاريوسيون أرجاء الكنيسة بسبب الطريقة التى ظهـروا بها ، حيث انهم ـ على وجه الخصوص ـ نشروا وفرضوا أفكارهم بكل ضرب من ضروب البـدع الغريبة على ذلك العصر ٠ فهـم لـم يستعينوا فقط بالاحاديث الدينية ، وتحرير الرسائل اللاهوتية ونشر عقائدهم على هيئة أفكار منتظمة قانونية ، كما تأمر بذلك « أحكام الرسـل» ، بل كما سبق أن قيـل أيضا ، فانهم استخـدموا كذلك أشعارهم الغنائية التى كانوا يتغنـون بها فى كل مناسـبة ٠٠ أما سلاحهم الاكثر مضاء وصلابة ، فكان استغلالهم للقوى السياسية التى أقحموها للتدخل ـ لاول مرة ـ فى شئون الكنيسة الداخلية٠ وهكذا أبعدوا خصومهم بوسائل عنيفة ٠٠ وأرغموا أثناسيوس على أن يبارح كرسيه خمس مرات ٠٠ وفى مرتين منها أقاموا أساقفتهم على هذا الكرسى ٠٠ وكان تفوقهم الساحق أكثر ثباتا واستقروا فى أنطاكيا ، بعد عزل الاسقف أوستاتيوس عـام ٣٣٠ م ٠٠ وفى عام

٣٦٠ أقاموا هناك صديقهم ميليتيوس الذى ما لبث أن أعرب فى الحال عن اتجاهه الى قانون ايمان نيقيا ..

أما فى آسيا فكان نفوذهم أقل ، ولو أن موقفهم هناك كان أكثر هدوءا ، الامر الذى لاجله كان موقف الارثوذكسيين مرنا ..

وفى القسطنطينية ـ على مـدى أربعين سـنة ـ خلف أربعـة أساقفة أريوسيين الواحد الآخر .. وهكذا عندما صار غريغوريوس الثيئولوغوس أسـقفا للقسطنطينية أستقر فى بيت صـغير للصلاة Chapel) ، لان الآريوسيين كانوا قد استـولوا على جميـع الكنائس ، ولـكن غريغوريوس خلص القسطنطينية منهم .. وفى الغرب حصلوا على نجاح محدود حيث استولوا فقط علىبعض مراكز هامة قليلة مثل المديولانيين وذلك لعدة سنوات قليلة فقط .. الا أنهم لم يتمكنوا من الوصول الى كرسى أسقفية روما .

وكانت حـالة المسيحية فى ذلك العصر تثير الحـزن والاسى . فبينما أعطيت لها الفرصة لاول مرة لكى تمد كرازتها فى كل مكان، اضطر قادتها أن يهملوا ذلك قهـرا . واضطروا للانشغال بأمـور عقائدية دقيقة .

كانت شوارع الاسكندرية تعج باستمرار للاشتراك بالاسـاقفة الذين ، اما كانوا يفدون نحو منفاهم واما كانوا يتوجهون للاشتراك فى المجـامع غير المكتملة . وفى وسط هـذه المجازفات والمخاطر أظهـرت قيـادة الارثوذكسية شـجاعة مقتـرنة بدبلوماسية تجـاه مضطهديهم ، كما أظهرت تمسكا شديدا بالتقليد والايمان المسلم .. فكانوا اما ينادون بعقائدهم وينفون بسببها واما كانوا يحافظونعلى هذه العقائد ويمكثون فى أماكنهم كى يصونوا الايمان الارثوذكسى الذى لا يطفأ ، ومن حـول هـؤلاء كانت خـلايا المؤيدين المخلصين تصارع وتتصادم من أجل عقيدة مجمع نيقية .

ان مسئولية الدفاع عن هـذه العقيدة كان لها **أولا : مجمـوعة** القادة الاول : الكسندروس السكندرى ، وأوستاتيوس الانطاكى ، وهوسيوس القرطبى ٠

ثم بعد ذلك بقليل وقع عبء الدفاع عن عقيدة نيقية على أكتاف القديس اثناسيوس الكبير الذى أدار النضال طيلة خمسين عـاما تقريبا ٠٠ معضدا أيضا من الآباء الآخرين أمثال كيرلس الاورشليمى وسرابيون أسـقف تيميس ، وديديمـوس الضرير ، وهيـلاريوس البكتافى وأخيرا الآباء الكبادوكيين العظـام : باسيليوس أسـقف قيصرية وغريغـوريوس الثيئولوغوس وغريغوريس النيصصى ٠ ان هؤلاء اللاهوتيين ـ باستنادهم على حجج وبراهين من الكتاب المقدس والتقاليد الشرعية الصحيحة ـ قامـوا بتجريد لاهوت آريوس من غطائه المتستر بالكتاب المقـدس ٠ وكشفوا أن الآريوسـية انما هى دراسة فلسفية جافة وعميقة تظهر الله بدون حياة أو حركة ٠٠

كشف أثناسيوس الكبير أن تعاليم آريوس أدت الى أمرين غير لائقين :

أولهما : أنه أذاب التعليم بالثالوث القدوس ولاشاه ، وفتـح الطريق أمام الاعتقاد بتعدد الآلهة ، اذ أنه سمح بعبادة المخلوق ٠

وثانيهما : أنه قلب « بناء الخلاص » كلية ٠ فان المخلص الذى أخذ على عاتقه خلاص البشرية يلزم أن يكون هو نفسه حاصلا على ملء اللاهوت ، ما دام قد أخذ على عاتقه أن يؤله الانسان ٠ فكيف يكون من الممكن أن الكلمة الذى يقوم بعمل التأليه لا يكون واحـدا فى الجوهر مع الله ؟ ان قمة براهين اثناسيوس هى أن المسيح لم يصر ابنـا لله كجزاء لكماله الادبى بل على العكس فانه هو الذى ألهنا (بتشديد اللام) (أى جعلنا الها) ٠ فيقول اثناسيوس « لذلك أذن فالمسيح لم يكن انسانا وفيما بعد صار الها ، بل انه كان الهـا

ثم صار انسانا لكى يؤلهنا » (المقالة الاولى ضد الآريوسيين فقرة ٣٩) ٠

وعلى الرغم من صرامته وحزمه لم يكن اثناسيوس متصلبا بل كان يعرف كيف يتدبر الامر بتفهم وتسامح ٠٠ وعندما تخلص من الضغط السياسى الخطير عرض المشكلة بحذر ويقظة أكثر ، ووضع موقف الارثوذكسيين تحت الفحص ، وعندئذ تحقق من قصور وعجز حججهم وسعى لكى يجد لها علاجا ٠٠ فان المطابقة المشار اليهـا سابقا بين الاصطلاحين « اوسيا » (أى الجوهر) ، و «هيبوستاسيس» (أى القوام) صارت مقبولة فى الغرب بدون اعتراض ، ولكن فى الشرق رأى كثير من اللاهوتيين أن فيها خطر البدعة «السابيلية» ٠ وأدرك اثناسيوس هذه الحيرة وقام بحركة توفيق فعالة أثناء مجمع الاسكندرية عـام ٣٦٢ م حيث أقر بأن كل من لا يرغب فى الاعتراف بصيغة « الاوموأوسيوس » (أى المساواة أو الوحدة فى الجوهر)، ولكنه يقبـل فى نفس الوقت بوحـدة « الآب والابن فانه يوجد على الطريق المستقيم ٠ وقام بخطوة عـودة الى التسليم بالمبدأ الشرقى للثـالوث مـع التفـريق بين معنى الاصـطلاحين « أوسـيا » ، و « هيبـوستاسيس » مع اضافة معنى « طريقة الوجود الخـاص بالـكيان » الى « الهيبوستاسيس » ٠٠ وهـكذا فان الله يكون من جوهر واحد ولكنه يوجد فى ثلاث أقانيم (هيبوستاسيس) أو أشخاص (بروسوبا) ، وهذه الصيغة توسع فيها أكثر الآباء الكبادوكيون بعد ذلك٠ ٠ومن ذلك الوقت فتح الباب أمام جماعة «الهوميوأوسيين» ٠ وان غالبيـة الذين رجعـوا وانضمـوا الى اتبـاع مجمـع نيقيـا الارثوذكسيين،وصلوا أيضا بعد ذلكالى قبول مبدأ«الهوموأوسيوس» (التساوى أو الوحدة فى الجـوهر) ولكن البعض من هـؤلاء لم

يكونوا على استعداد لقبول الاعتقاد بمساواة الروح فى الجـوهر أيضا (أى مع الآب والابن) ٠٠ ولهذا السبب ضمن مجمع نيقيـا ضمن قانون الايمان ، مجرد عبارة « وبالروح القدس » بدون أية خاصية أو صفة أخرى ، وكان هؤلاء يعتقدون بثنـائى فقط فى الله بدلا من الثالوث ، ولهذا أطلق عليهم اسم « أعداء الروح » ولانهكان يتزعمهم « مقدونيوس » ، الذى جرده « الاوميوون » من رتبته ، لهـذا أطلق عليهم أيضا اسم « المقـدونيون » ، وهؤلاء حكم عليهم بواسطة مجمع أنطاكية سنة ٣٧٩ م ، والمجمع المسكونى الثـانى الثانى بالقسطنطينية سنة ٣٨١ م ٠ ولكى يتجنب الآباء أى مخاطرات جديدة أو أى أساءة فهم للأمور ، فانهم لم يستخدموا فى هذا المجمع الاخير أى اصطلاحات مثيرة ، مثل «الهوموأوسيوس» بل استخدموا عبارات متباينة وهى عبارات توضح « المساواة فى الكرامة » ٠ وهم فى هذا قد اتبعوا السياسة الحكيمة التى كان يسير عليها باسيليوس الكبير ٠ ثم أصدر الامبراطور ثيئودوسيوس قرارا بوضع حد لهذا الصراع داخل ٠ امبراطوريته فكانت النهاية الحاسمة ، مما أدى الى الاعتراف بشكل دينى واحد وهو المسيحية الارثوذكسية التى أقرها « داماسوس » أسقف روما ، « وبطرس » أسقف الاسكندرية٠وبالتالى أنضم غالبية الاريوسيين الى الكنيسة ، أما البقية الذين تخلفوا فقد انضموا على التوالى الى بدع وهرطقات أخرى ، وخاصة انضموا الى النسطورية وهى البدعة التى حاولت أن تنقص من ألوهية المسيح بطريقة أخـرى ٠